

سورة المائدة

معاني الكلمات :

العقود : العهود المؤكدة . بهيمة : كل ذات أربع قوائم في البر والبحر . الأنعام : الإبل والبقر والغنم والماعز . وأنتم حرم : حال إحرامكم بالحج أو بالعمرة . لا تحلوا : لا تنتهكوا . شعائر الله : مناسك الحج . الشهر الحرام : رجب - ذو القعدة - ذو الحجة - المحرم . الهدى : ما يهتدي من الأنعام إلى الكعبة .
القلائد : ما يعلم به الهدى من علامات .
ولا آمين البيت الحرام : ولا تنتهكوا حرمة الحجاج بصددهم عن المناسك .
حللتهم : خرجتم من الإحرام . لا يجرمنكم : لا يحملنكم . شنتان قوم : بغضكم لهم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان أهمية الوفاء بالعقود مع الله ، ومع النفس ومع الناس .
- ٢ - أن نلتزم أوامر الله ونجتنب نواهيه فيما أحل وحرّم على المسلمين .
- ٣ - أن نتخلق بخلق الوفاء ونتحرى الحلال في كل أمورنا .

المحتوى التربوي :

تستهل هذه السورة في أولى آياتها الأمر بالوفاء بالعقود ، ثم المضي بعد هذا الافتتاح في بيان الحلال والحرام من الذبائح والمطاعم والمشارب والمناسك . وفي بيان الكثير من الأحكام الشرعية والتعبدية . وفي بيان حقيقة العقيدة الصحيحة ، وحقيقة العبودية - وحقيقة الألوهية . وفي بيان علاقات الأمة المؤمنة بشتى الأمم والملل والنحل ، وفي بيان تكاليف الأمة المؤمنة في القيام لله والشهادة بالقسط والوصاية على البشرية بكتابتها المهيمن على كل الكتب قبلها ، والحكم فيها بما أنزل الله ؛ والحذر من الفتنة عن بعض ما أنزل الله ؛ والحذر من عدم العدل تأثراً بالمشاعر والمودة والشنان .

ويقول صاحب الظلال : عن تشريع الله وأمره للمؤمنين بالفداء بالعقود « إنه لا بد من ضوابط للحياة. حياة المرء مع نفسه التي بين جنبيه ؛ وحياته مع غيره من الناس ومن الأحياء والأشياء عامة ، الناس من الأقربين والأبعدين ، من الأهل والعشيرة ، ومن الجماعة والأمة ؛ ومن الأصدقاء والأعداء ، والأحياء مما سخر الله للإنسان ومما لم يسخر .. والأشياء مما يحيط بالإنسان في هذا الكون العريض ثم حياته مع ربه ومولاه وعلاقته به وهي أساس كل حياة » .

هذه الضوابط يسميها الله « العقود » .. ويأمر الذين آمنوا أن يوفوا بهذه العقود .. ويكشف عن أن المقصود بالعقود هو كل ضوابط الحياة التي قررها الله ؛ وفي أولها عقد الإيمان بالله ؛ ومعرفة حقيقة ألوهيته ، سبحانه ، ومقتضى العبودية لألوهيته .. هذا العقد الذي تنبثق منه ، وتقوم عليه سائر العقود سواء ما يختص منها بكل أمر ، وكل نهى في شريعة الله ويأخذ في تفصيل بعض هذه العقود .

يقول صاحب الأساس : « أحلت لكم هذه الأشياء ، لا تحلن الصيد وأنتم محرمون فكأنه أراد أنه أحل لكم الأنعام في حال امتناعكم عن الصيد وأنتم محرمون لثلاث يضيّق عليكم . ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ من الأحكام . فيحل ما يشاء ، ويُحرّم ما يشاء . وله وحده حق الحكم ، وحق التحليل والتحرير ؛ إذ هو الربّ ، وهو الأعلم بمصالح عباده » .

ويقول صاحب الظلال : « فصار حلالاً لكم ومباحاً أن تأكلوا من كل ما يدخل تحت مدلول « بهيمة الأنعام » من الذبائح والصيد - إلا ما يُتلى عليكم تحريمه منها - وهو الذي سيرد ذكره محرماً .. إما حرمة وقتية أو مكانية ؛ وإما حرمة مطلقة في أى مكان وفي أى زمان وبهيمة الأنعام تشمل الإبل والبقر والغنم ، ويضاف إليها الوحش منها ، كالبقر والحمر الوحشية ثم يأخذ في الاستثناء من هذا العموم ، وأول المستثنيات الصيد في حال الإحرام » .

والتحرير هنا ينطبق ابتداء على عملية الصيد ذاتها ، فالإحرام للحج أو للعمرة ، تجرد عن أسباب الحياة العادية وأساليبها المألوفة وتوجه إلى الله في بيته الحرام ، الذي جعله الله مثابة الأمان ومن ثم يبتغى عنده الكف عن بسط الكف إلى أى حى من الأحياء ، وهي فترة نفسية ضرورية للنفس البشرية ؛ تستشعر فيها صلة الحياة بين جميع الأحياء في واهب الحياة ؛ وتؤمن فيها وتؤمن كذلك من كل اعتداء ؛ وتتخفف من ضرورات المعاش التي أحل من أجلها صيد الطير والحيوان وأكله ؛ لترتفع في هذه الفترة على مألوف الحياة وأساليبها ، وتتطلع إلى هذا الأفق الرفاف الوضئ .

وقبل أن يمضى السياق في بيان المستثنيات من حكم الحل العام ، يربط بين هذا العقد بالعقد الأكبر ، ويذكر الذين آمنوا بمصدر ذلك الميثاق : ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ ، ثم يستأنف نداء الذين آمنوا لينهاهم عن استحلال حرّات الله ، والمقصود بشعائر الله في هذا المقام شعائر الحج والعمرة وما تتضمنه من محرمات على المحرم أو العمرة ، حتى ينتهى حجه بنحر الهدى الذي

ساقه إلى البيت الحرام ؛ فلا يستحلها المحرم في فترة إحرامه ؛ لأن استحلالها فيه استهانة بحرمة الله الذي شرع هذه الشعائر . وقد نسبها السياق القرآني إلى الله تعظيماً لها ، وتحذيراً من استحلالها .

كذلك حرم الله آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً ، وهم الذين يقصدون البيت الحرام للتجارة الحلال وطلب الرضوان من الله ، حجاجاً أو غير حجاج . وأعطاهم الأمان في حرمة بيته الحرام ، ثم أحل الصيد متى انتهت فترة الإحرام ، في غير البيت الحرام ، فلا صيد في البيت الحرام .

وفي جو الحرمات وفي منطقة الأمان ، يدعو الله الذين آمنوا به ، وتعاقدوا معه ، أن يفوا بعهدهم ؛ وأن يرتفعوا إلى مستوى الدور الذي ناطه بهم ، دور القوامة على البشرية ؛ بلا تأثير بالمشاعر الشخصية ، والعواطف الذاتية ، والملابسات العارضة في الحياة ، يدعوهم ألا يعتدوا حتى على الذين صدوهم عن المسجد الحرام في عام الحديبية ؛ وقبل ذلك ؛ وتركوا في نفوس المسلمين جروحاً وندوباً من هذا الصد ، وخلقوا في قلوبهم الكره والبغض . فهذا كل شيء ، وواجب الأمة المسلمة شيء آخر ، شيء يناسب دورها العظيم .

ويقول صاحب الظلال : « إنها قمة في ضبط النفس ؛ وفي ساحة القلب ، ولكنها هي القمة التي لا بد أن ترقى إليها الأمة المكلفة من ربه أن تقوم البشرية لتهدئتها وترتفع بها إلى هذا الأفق الكريم المضيء . إنها تبعة القيادة والقوامة والشهادة على الناس ، التبعة التي لا بد أن ينسى فيها المؤمنون ما يقع على أشخاصهم من الأذى ليقدموا للناس نموذجاً من السلوك الذي يحققه الإسلام ، ومن التسامى الذي يصنعه الإسلام . وبهذا يؤدون للإسلام شهادة طيبة ؛ تجذب الناس إليه وتحببهم فيه » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن المؤمن مطالب من قبل الله عز وجل بأن يفى بكل عقد أو عهد أو شرط ، سواء أكان ذلك مع الله أو مع النفس ، إذ المؤمن عند شرطه وعند كلمته ، وعند ما وعد به أو ألزم به نفسه ، وأن كل إخلال بشيء من ذلك هو إخلال بالإيمان نفسه .

٢ - وأن ما أحله الله لنا ليس لغيره أن يحرمه علينا ، وما حرمه علينا ليس لأحد غيره أن يحله لنا ، مهما كان ذلك الأحد حاكماً أو كبيراً أو ذا جاه وسلطان ؛ لأن التحليل والتحريم من عمل الله سبحانه وتعالى .

٣ - إن بناء الإنسان بناءً صحيحاً روحياً وعقلياً وبدنياً واجتماعياً ، إنما يكون في ممارسة خلق الوفاء ، وفي التعامل الدقيق مع الحلال والحرام وأن الله تعالى قد حكم بما أراد للإنسان في هذا التشريع من الخير في الدنيا والآخرة .

معاني الكلمات :

ما أهل لغير الله به : ما لم يذكر اسم الله عليه . الموقوذة : الميتة بالضرب . المتردية : الميتة بالسقوط من علو . النُصب : حجارة حول الكعبة كانوا يعظمونها . تستقسموا : تطلبوا معرفة ما قسم لكم . الأزلام : قدام معلمة معروفة في الجاهلية . مخمصة : مجاعة شديدة . متجانف لإثم : مائل إليه بتجاوز قدر الضرورة . مُكَلِّينَ : مُعَلِّمين لها الصيد . المحصنات : العفائف أو الحرائر . غير مسافحين : غير مجاهرين بالزنا . متخذى أخدان : مُصاحبي خليلات للزنا سراً .

حبط عمله : بطل ثواب عمله السابق .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتحرى الحلال والحرام فيما أمر ونهى عنه الله .
- ٢ - أن نقف على الأحكام الواردة في هذه الآيات مما أحل وحرّم الله .
- ٣ - أن نستيقن أن المنهج الذى أنعم الله به على أمة الإسلام هو الذى يحقق لها خير الدنيا والآخرة .
- ٤ - أن نعلم أن الالتزام بهذا المنهج هو الترجمة الحقيقية للإيمان وأن الخروج عليه كفر بما أنزل على رسول الله ﷺ .

المحتوى التربوى :

يأخذ السياق - في هذه الآيات - في تفصيل ما استثناء في الآية الأولى من السورة من حل بهيمة الأنعام ؛ والميتة والدم ولحم الخنزير ، سبق بيان حكمها ، عند استعراض آية سورة البقرة الخاصة بهذه المحرمات ؛ وأما ما أهل لغير الله به ، فهو محرم لمناقضته ابتداء للإيمان ، فالإيمان يوحد الله ، ويفرده - سبحانه - بالألوهية ويرتب على هذا التوحيد مقتضياته . وأول هذه المقتضيات أن يكون

التوجه إلى الله وحده بكل نية وكل عمل ، فما يبل لغير الله به ؛ وما يسمى عليه بغير اسم الله ؛ لأنه ينقض الإيمان من أساسه .. فهو خبيث من هذه الناحية ؛ يلحق بالخبائث الحسية من الميتة والدم ولحم الخنزير .

وأما المنخقة ، والموقودة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع .. فهي كلها أنواع من أنواع الميتة إذا لم تدرك بالذبح وفيها الروح : ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ فحكمها هو حكم الميتة ، على أن هناك تفصيلاً في الأقوال الفقهية واختلافاً في حكم التذكية .. والتفصيل يُطلب في كتب الفقه المختصة وأما ما ذبح على النصب ، فهو محرم بسبب ذبحه على الأصنام - حتى لو ذكر اسم الله عليه ، لما فيه من معنى الشرك بالله . وحرم الله الاستقسام بالأزلام - لأنه نوع من الميسر المحرم - وحرم اللحوم التي تقسم عن هذا الطريق ، والمضطر الذي يخشى على حياته التلف ، له أن يأكل من هذه المحرمات ؛ ما دام أنه لا يعتمد الإثم ، ولا يقصد مقارفة الحرام ، وتختلف آراء الفقهاء في حد هذا الأكل ، فلا ندخل نحن في هذه التفصيلات ، وحسبنا أن ندرك ما في هذا الدين من يسر ، وهو يعطى للضرورات أحكامها بلا عنت ولا حرج مع تعليق الأمر كله بالنية المستكنة ؛ والتقوى الموكولة إلى الله ، فمن أقدم مضطراً لانية له في مقارفة الحرام ولا قصد ، فلا إثم عليه إذن ولا عقاب .

ويقول صاحب الظلال : تعليقاً على تخلل قوله تعالى : ﴿ آيَؤْمُ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾ الآية : إنه أكمله - أى الدين - وهو « النعمة » التي يقول الله للذين آمنوا : إنه أتمها عليهم . وأنه لا فرق في هذا الدين بين ما يختص بالتصور والاعتقاد ؛ وما يختص بالشعائر والعبادات ؛ وما يختص بالحلال والحرام وما يختص بالتنظيمات الاجتماعية والدولية .. فكلها في مجموعها تكون المنهج الربانى الذى ارتضاه الله للذين آمنوا ؛ والخروج عن هذا المنهج في جزئية ، كالخروج عليه كله ، خروج على هذا « الدين » وخروج من هذا الدين بالتبعية .

وبعد أن أنشأ القرآن الكريم في شعور هذه الفئة المؤمنة ؛ وحدة التلقى عن الله في الحلال والحرام ، لذلك راحوا يسألون الرسول ﷺ بعدما سمعوا آيات التحريم : ﴿ مَاذَا أُحِلَّ لَّهُمْ ﴾ ليكونوا على يقين من حله قبل أن يقربوه وجاءهم الجواب « قل : أحل لكم الطيبات ... » ويقول صاحب الظلال - رحمه الله : وهو جواب - يستحق التأمل : إنهم لم يُحرّموا طيباً ، فلم يحرم عليهم إلا الخبائث ، وأضاف إلى الطيبات - وهو عامة - نوعاً منها يدل على طيبته تخصيصه بالذكر بعد التعميم ؛ وهو ما تمسكه الجوارح المعلمة المدربة على الصيد كالصقر على صاحبها : أى أن تحتفظ بما تمسكه من الصيد ؛ فلا تأكل منه عند صيده .

ثم يردهم في نهاية الآية إلى تقوى الله ، ويخوفهم حسابه السريع ، فيربط أمر الحل والحزمة كله بهذا الشعور الذى هو محور لكل نية وكل عمل في حياة المؤمن ؛ والذى يحول الحياة كلها صلة بالله ، وشعوراً بجلاله ، ومراقبة لله في السر والعلانية .

ويستطرد في بيان ما أحل لهم من الطعام ويلحق به ما أحل لهم من النكاح . ويبدأ ألوان المتاع الحلال مرة أخرى بقوله : ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ فأحل لهم طعام الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى خاصة فطعامهم وذبائحهم حلال ، وطعام الذين آمنوا حل لهم أى لا بأس أن تطعموهم من طعامكم ، فإن ذلك جائز لكم ولهم ، وأحل أيضاً نكاح المحصنات أى العفاف من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهن العفاف من اليهوديات والنصرانيات وشرط حلهن . أن تؤدى المهور بقصد النكاح الشرعى ، الذى يحصن به الرجل امرأته ويصونها ، لا أن يكون هذا المال طريقاً إلى السفاح أو المخادنة ، ويعقب أخيراً على هذه الأحكام تعقيباً فيه تشديد وفيه تهديد ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ .

يقول صاحب الظلال : « إن هذه التشريعات كلها منوطة بالإيمان ؛ وتنفيذها كما هى هو الإيمان ؛ أو هو دليل الإيمان ، فالذى يعدل عنها إنما يكفر بالإيمان ويحده . والذى يكفر بالإيمان يبطل عمله ويصبح رداً عليه لا يُقبل منه ، ولا يُقرر عليه ، وفي الآخرة تكون الخسارة فوق حبوط العمل وبطلانه في الدنيا » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن ترك ونرفض كل قول أو فعل لا يُقصد به وجه الله تبارك وتعالى ، وأن نرفض من المطعومات كل ما لم يذكر اسم الله عليه ، لأنه صار بترك التسمية خبيثاً ، وهذا يدعم في نفس المؤمن الإخلاص لله وحده في كل قول أو صمت وفي كل فعل أو ترك .

٢ - يتعلم المؤمن أن يكون شجاعاً في الحق وفي التعبير عن رأيه - وليس له أن يخشى أحداً في ذلك ، إذ الخشية إنما تكون لله وحده .

٣ - أن على المسلم أن يتحرى في أمر دينه حتى لا يقع فيما حرم الله تعالى ، فيبادر بالسؤال عما لا يعرف كما كان يفعل الصحابة رضوان الله عليهم .

٤ - اليقين بأن الله تبارك وتعالى وقد أكمل هذا الدين وأتمه ورضيه للبشرية كلها ديناً ، وسع على المؤمنين دائرة الحلال في مجال الاحتياجات الأساسية للإنسان كالطعام والزواج فأباح كل طيب من الطعام وأباح الزواج من المحصنات من أهل الكتاب - على نحو ما سبق .

معاني الكلمات :

الغائط : دورة المياه (كناية عن الحدث) .

لامستم النساء : جامعتموهن أو مستمت
بشرتهن . صعيداً طيباً : تراباً طاهراً .

حرج : ضيق في دينه وتشريعه . ميثاقه :
عهده . واثقكم به : عاهدكم به .

قوامين لله : مستمرين على القيام بعهود الله
وأماناته دائماً . لا يجرمنكم : لا يحملنكم
شئان قوم وبغضكم لهم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان الحكمة من الطهارة قبل
الدخول في الصلاة .

٢ - بيان الحكمة من تشريع التيمم إذا
فقد الماء أو تعذر استعماله .



٣ - أن نعرف معنى القومة بالعدل والشهادة بالقسط ونلتزم بها .

٤ - أن ندرک نعمة الله علينا بالإيمان وميثاق الإسلام .

المحتوى التربوي :

في الآيات السابقة وفي ظل الحديث عن الطيبات من الطعام والطيبات من النساء يحى ذكر الصلاة ، ويتواصل الحديث عن أحكام الطهارة للصلاة ، فالصلاة لقاء مع الله ، ووقوف بين يديه - سبحانه - ودعاء مرفوع إليه ، ونجوى وإسرار . فلا بد لهذا الموقف من استعداد ، لا بد من تطهر جسدى يصاحبه تهيؤ روحى ، ومن هنا كان الوضوء والطهارة شرطين أساسيين للصلاة وهذه هي فرائضه المنصوص عليها في هذه الآية : غسل الوجه . وغسل الأيدي إلى المرافق . ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين ..

وحول هذه الفرائض خلافات فقهية يسيرة ، أهمها هل هذه الفرائض على الترتيب الذى ذكرت به ؟ أم هى تجزئ على غير ترتيب ؟ قولان . هذا فى الحدث الأصغر .. أما الجنابة - سواء بالمباشرة أو الاحتلام - فتوجب الاغتسال .

ولما فرغ من بيان فرائض الوضوء والغسل ، أخذ فى بيان حكم التيمم وذلك فى الحالات الآتية : حالة عدم وجود الماء للمحدث على الإطلاق ، وحالة المريض المحدث حدثاً أصغر

يقتضى الوضوء ، أو حدثاً أكبر يقتضى الغسل ، والماء يؤذيه ، وحالة المسافر المحدث حدثاً أصغر أو أكبر وهناك خلافات فقهية حول المقصود بقوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ .. أهو مجرد الملامسة ؟ أم هى المباشرة ؟ وهل كل ملامسة بشهوة ولذة أم بغير شهوة ولذة ؟ خلاف كذلك هل المرض بإطلاقه يميز التيمم ؟ أم المرض الذى يؤذيه الماء ؟ خلاف ، ثم هل برودة الماء من غير مرض ، وخوف المرض والأذى يميز التيمم ، الأرجح نعم .

وفى كل ذلك لا يريد الله - سبحانه - أن يعنت الناس ، ويحملهم على الحرج والمشقة بالتكاليف . إنما يريد أن يطهرهم ، وأن ينعم عليهم بهذه الطهارة ، وأن يقودهم إلى الشكر على النعمة ، ليضاعفها لهم ويزيدهم منها فهو الرفق والفضل والواقعية فى هذا المنهج اليسير القويم . يقول صاحب الظلال : « يقودنا الحديث عن التيمم للصلاة عند تعذر الطهارة بالوضوء أو الغسل أو ضررها إلى حرص المنهج الإسلامى على إقامة الصلاة ؛ وإزالة كل عائق يمنع منها ، فهذا الحكم بالإضافة إلى الأحكام الأخرى كالصلاة عند الخوف ، والصلاة فى حالة المرض من قعود أو من استلقاء حسب الإمكان .

كل هذه الأحكام تكشف عن الحرص البالغ على إقامة الصلاة ؛ وتبين إلى أى حد يعتمد المنهج على هذه العبادة لتحقيق أغراضه التربوية فى النفس البشرية ، إذ يجعل من لقاء الله والوقوف بين يديه وسيلة عميقة الأثر ، لا يفرط فيها فى أدق الظروف وأحرجها ، ولا يجعل عقبة من العقبات تحول بين المسلم وبين هذا الوقوف وهذا اللقاء ، لقاء العبد بربه وعدم انقطاعه عنه لسبب من الأسباب ، إنها نداوة القلب ، واسترواح الظل ، وبشاشة اللقاء .

ويعقب على أحكام الطهارة ، وعلى ما سبقها من الأحكام بتذكير الذين آمنوا بنعمة الله عليهم بالإيمان ، وبميثاق الله معهم على السمع والطاعة ، وهو الميثاق الذى دخلوا به فى الإسلام ، كما يذكرهم تقوى الله ، وعلمه بما تنطوى عليه الصدور ، ومن ثم يكلهم الله فى هذا إلى التقوى .. إلى إحساس القلب بالله ، ومراقبته فى خطراته الخافية ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

ومن الميثاق الذى واثق الله به الأمة المسلمة ، القوامة على البشرية بالعدل .. العدل المطلق الذى لا يميل ميزانه مع المودة والشنآن ؛ ولا يتأثر بالقرابة أو المصلحة أو الهوى فى حال من الأحوال .

العدل المنبثق من القيام لله وحده بمنجاة من سائر المؤثرات .. والشعور برقابة الله وعلمه بخفايا الصدور .

يقول صاحب الظلال : « لقد نهى الله الذين آمنوا من قبل أن يحملهم الشنآن لمن صدوهم عن المسجد الحرام على الاعتداء . وكانت هذه قمة فى ضبط النفس والسماحة يرفعهم الله إليها

بمنهجه التربوى الربانى القويم. فهاهم أولاء يnehون أن يحملهم الشنآن على أن يميلوا عن العدل. وهى قمة أعلى مرتقى وأصعب على النفس وأشق. فهى مرحلة وراء عدم الاعتداء والوقوف عنده ؛ تتجاوزه إلى إقامة العدل مع الشعور بالكره والبغض، إن التكليف الأول أيسر ، لأنه إجراء سلبى ينتهى عند الكف عن الاعتداء فأما التكليف الثانى فأشق ؛ لأنه إجراء إيجابى يحمل النفس على مباشرة العدل والقسط مع المبعوضين المشنوتين .

والمنهج التربوى الحكيم يقدر ما فى هذا المرتقى من صعوبة فيقدم له بما يعين عليه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّيْمِينَ لِلّٰهِ ﴾ ويعقب عليه بما يعين عليه أيضًا : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

يقول صاحب الظلال : « إن الناس قد يعرفون المبادئ ، ويهتفون بها ، ولكن هذا شىء ، وتحقيقها فى عالم الواقع شىء آخر ، وهذا المبادئ التى يهتف بها الناس للناس طبيعى ألا تتحقق فى عالم الواقع ، فليس المهم أن يدعى الناس إلى المبادئ ، ولكن المهم هو الجهة التى تصدر منها الدعوة ، المهم هو سلطان هذه الدعوة على الضمائر والسرائر .. » .

وفى النهاية لابد من جزاء للمؤمنين من الله ، الذى يتعاملون معه وحده ؛ يشجع ويقوى على النهوض بتكاليف القوامه ؛ وعلى الوفاء بالميثاق . ولا بد أن يختلف مصير الذين كفروا وكذبوا عن مصير الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند الله . وهو الجزاء الذى يعوض الخيرين عما يفوتهم من عرض الحياة الدنيا ، وهم ينهضون بالتكاليف العليا . والذى تصغر معه تكاليف القوامه على أهواء البشرية وعنادها ولجاجها فى هذه الأرض ثم هو العدل الإلهى الذى لا يسوى بين جزاء الخيرين وجزاء الأشرار .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

- ١ - أن مبنى العمل فى الإسلام على اليسر لا العسر ، وأن كل تعنت أو تشدد لا يقره الدين .
- ٢ - أن كل عامل من أجل الإسلام يجب أن يكون عمله فى حدود إمكاناته ، وما يحسن لأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها .

- ٣ - أن طهارة القلوب من الغل والحسد فى أهمية طهارة الأبدان من النجاسة والقذر .

- ٤ - على الدعوة إلى الله أن يتحرروا جميعًا من كل ما يحول بينهم وبين القيام بالعدل والقسط فى العمل من أجل الإسلام ، بادئين بأنفسهم ثم بإخوانهم ثم بمن يعملون معهم من الناس .

- ٥ - إن الإيمان مرتبط دائمًا بالعمل الصالح ، وأن المؤمن هو الذى يعمل بالصالحات وأن هذا الإيمان إذا صح وكان قريبًا للعمل الصالح أهل أصحابه لخيرى الدنيا والآخرة ، أما خير الدنيا فهو الرضا والاطمئنان ، والنصر فى معركة الحق والباطل . لأن ذلك وعد الله . ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم) .

معاني الكلمات :

يسطوا إليكم أيديهم : يبطشوا بكم بالقتل
 نقيباً : أميناً ، وكفيلاً . عززتموهم :
 نصرتموهم أو عظمتموهم . أقرضتم الله :
 تصدقتم . قرضاً حسناً : ابتغاء مرضاة الله .
 لعناهم : طردناهم من رحمتنا . يحرفون
 الكلم : يغيرون كلام الله . نسوا حظاً :
 تركوا نصيباً وافرأ .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على نعم الله علينا
 ونشكرها ونحافظ عليها .
- ٢ - أن نوفي بميثاقنا وعهودنا مع الله
 تعالى ونحذر عاقبة النكوث بها .
- ٣ - أن نتعلم فن الأخذ بالأسباب في



كل أمورنا ونحسن التوكل على الله .

- ٤ - أن نعرف حال عدونا - اليهود - ونتعامل معهم من منطلق هذا العلم .

المحتوى التربوي :

في هذه الآيات يمضى السياق يقوى في الجماعة المسلمة روح العدل والقسط والساحة ؛
 ويكفكف فيها شعور العدوان والميل والانتقام .. فيذكر المسلمين نعمة الله عليهم في كف
 المشركين عنهم ، حين هموا في عام الحديبية - أو في غيره - أن يسطوا إليهم أيديهم بالعدوان ،
 وتختلف الروايات فيمن تعينهم هذه الآية . ولكن الأرجح أنها إشارة إلى حادثة المجموعة التي
 همت يوم الحديبية أن تغدر برسول الله ﷺ وبالمسلمين ، فتأخذهم على غرة ، فأوقعهم الله أسارى
 في أيدي المسلمين .

وأياً ما كان الحادث ، فإن عبرته في هذا المقام هي المنشودة في المنهج التربوي الفريد ، وهي
 إماتة الغيظ والشنآن لهؤلاء القوم في صدور المسلمين كي يفيتوا إلى الهدوء والطمأنينة وهم يرون
 أن الله هو راعيهم وكالهم وفي ظل الهدوء والطمأنينة يصبح ضبط النفس ، وساحة القلب ،
 وإقامة العدل ميسورة ، ويستحي المسلمون ألا يفوا بميثاقهم مع الله ؛ وهو يرعاهم ويكلؤهم ،
 ويكف الأيدي المبسوطة إليهم .

ونغضى الآيات لتستعرض مواقف أهل الكتاب من موثيقهم ؛ واستعراض ما حلَّ بهم من العقاب نتيجة نقضهم لهذه الموثائق ؛ لتكون هذه - من جانب - تذكراً للجماعة المسلمة ماثلة من بطون التاريخ ، ومن واقع أهل الكتاب قبلهم ، وليكشف عن حقيقة أهل الكتاب وحقيقة موقفهم ؛ وذلك لإبطال كيدهم في الصف المسلم ؛ وإحباط مناوراتهم ومؤامراتهم ؛ التي يلبسونها ثوب التمسك بدينهم ، وهم في الحقيقة قد نقضوا هذا الدين من قبل ؛ ونقضوا ما عاهدوا الله عليه .

لقد كان ميثاق الله مع بنى إسرائيل ميثاقاً بين طرفين ؛ متضمناً شرطاً وجزاء ، والنص القرآنى يثبت نص الميثاق وشرطه وجزاءه ، بعد ذكر عقد الميثاق وملابسات عقده .. لقد كان عقداً مع نقيب بنى إسرائيل الاثنى عشر ، الذين يمثلون فروع بيت يعقوب - وهو إسرائيل - وهم ذرية الأسباط - أحفاد يعقوب - وعدتهم اثنا عشر سبطاً .

وكان شرطه إقامة الصلاة .. لا مجرد أدائها ، وإقامتها على أصولها التي تجعل منها صلة حقيقية بين العبد والرب ؛ وعنصراً تهذيبياً وتربوياً وفق المنهج الربانى القويم ، ونهاياً عن الفحشاء والمنكر حياء من الوقوف بين يدى الله بحصيلة من الفحشاء والمنكر !

وإيتاء الزكاة اعترافاً بنعمة الله فى الرزق ؛ وطاعة له فى التصرف فى هذا المال وفق شرطه وهو المالك ، والناس فى المال وكلاء . وتحقيقاً للتكافل الاجتماعى بين المجتمع ، والإيمان برسلى الله كلهم دون تفرقة بينهم . فكلهم جاء من عند الله وبدين الله ، وليس هو مجرد الإيمان السلبى ، إنما هو الإيمان الإيجابى فى نصره الرسل وشده أزهرهم فيما ندهم الله له ، فدين الله ليس مجرد تصور اعتقادى ، ولا مجرد شعائر تعبدية ، إنما هو منهج واقعى للحياة . ونظام محدد يصرف شؤون هذه الحياة ويحتاج إلى نصرة ، وتعزيز وجهاد لتحقيقه ولحمائته بعد تحقيقه وإلا فما وفى المؤمن بالميثاق . وبعد الزكاة إنفاق عام ؛ إنه قرض الله ، وهو المالك ، والواهب ولكنه - فضلاً منه ومنة - يسمى ما ينفقه الموهوب له - متى أنفقه الله - قرضاً لله .

ذلك كان الشرط فأما الجزاء فكان : تكفير السيئات ، وجنة تجرى من تحتها الأنهار ، وهى فضل خالص من الله ، لا يبلغه الإنسان بعمله ، إنما يبلغه بفضل من الله ، حين يبذل الجهد ، فيما يملك وفيما يطبق وكان هنالك شرط جزائى فى الميثاق : ﴿ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .

ذلك كان ميثاق الله مع نقيب بنى إسرائيل . عمن وراءهم . وقد ارتضوه جميعاً ؛ فصار ميثاقاً مع كل فرد فيهم ، وميثاقاً مع الأمة المؤلفة منهم .. فماذا كان من بنى إسرائيل ! لقد نقضوا ميثاقهم مع الله .. قتلوا أنبياءهم بغير حق ، وبيتوا القتل والصلب لعيسى عليه السلام وهو آخر أنبيائهم - وحرفوا كتابهم - التوراة - ونسوا شرائعها فلم ينفذوها ، ووقفوا من خاتم الأنبياء ﷺ موقفاً

لثيماً ماكرأً عنيداً ، وخانوه وخانوا موافقهم معه . فباؤوا بالطرد من هدى الله ، وقست قلوبهم فلم تعد صالحة لاستقبال هذا الهدى ...

ويصور السياق حال يهود في المجتمع المسلم في المدينة . فهم لا يكفون عن محاولة خيانة رسول الله ﷺ وقد كانت لهم مواقف خيانة متواترة - وما تزال هذه حالهم في المجتمع الإسلامي على مدار التاريخ ؛ لذا يخاطب النص القرآني النبي ﷺ : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ .

ويقول صاحب الظلال : « إن هذا القرآن هو معلم هذه الأمة ومرشدها ورائدها وحادي طريقها على طول الطريق . وهو يكشف لها عن حال أعدائها معها ، وعن جبلتهم وعن تاريخهم مع هدى الله كله ، ولو ظلت هذه الأمة تستشير قرآنها ؛ وتسمع توجيهاته ؛ وتقيم قواعده وتشريعاته في حياتها ، ما استطاع أعداؤها أن ينالوا منها في يوم من الأيام ولكنها حين نقضت ميثاقها مع ربها ؛ وحين اتخذت القرآن مهجوراً - وإن كانت ما تزال تتخذ منه ترانيم مطربة ، وتعاويد ورقى وأدعية ! - أصابها ما أصابها » .

ولقد كان الله - سبحانه - يقص عليها ما وقع لبنى إسرائيل من اللعن والطرد وقسوة القلب وتحريف الكلم عن مواضعه ، حين نقضوا ميثاقهم مع الله ، لتحذر أن تنقض هي ميثاقها مع الله ، فيصيبها ما يصيب كل ناكث للعهد ، ناقض للعقد .. فلما غفلت عن هذا التحذير ، وسارت في طريق غير الطريق ، نزع الله منها قيادة البشرية ؛ وتركها هكذا ذليلاً في القافلة ! حتى تتوب إلى ربها ، وحتى تتمسك بعهداها ، وحتى توفى بعقدها . فيفئ لها الله بوعده من التمكين في الأرض ومن القيادة للبشرية والشهادة على الناس .. وإلا بقيت هكذا ذليلاً للقافلة ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ (الروم : ٦) .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن يكون المؤمنون دائماً على ذكر لنعم الله عليهم ؛ إذ هم محاطون دائماً بنعم لا تحصى ، من أجلها وأعظمها نعمة الإيمان والإسلام ثم نعمة الحياة والعقل والسمع والبصر والفؤاد .

٢ - أن يتعلم المؤمن أنه مطالب بتقوى الله دائماً ، والتقوى تكون بتقوى الشر والسوء وكل ما يغضب الله ، وبذل الجهد في ذلك .

٣ - على الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى أن يتعلموا من هذه الآيات أموراً أساسية لا ينجح العمل إلا بها هي :

١ - تقوى الله في كل قول أو صمت وفي كل عمل أو ترك .

٢ - التوكل على الله والاعتماد عليه لا على العمل الذي قام به الإنسان مهما كان .

٣ - الأخذ بالأسباب كاملة ، لا يغنى عن التوكل على الله في كل أمر .

معاني الكلمات :

فأغرينا : هيجنا وحرشنا أو ألصقنا .

نور : هو محمد ﷺ .

كتاب مبين : هو القرآن الكريم .

سبل السلام : طرق النجاة .

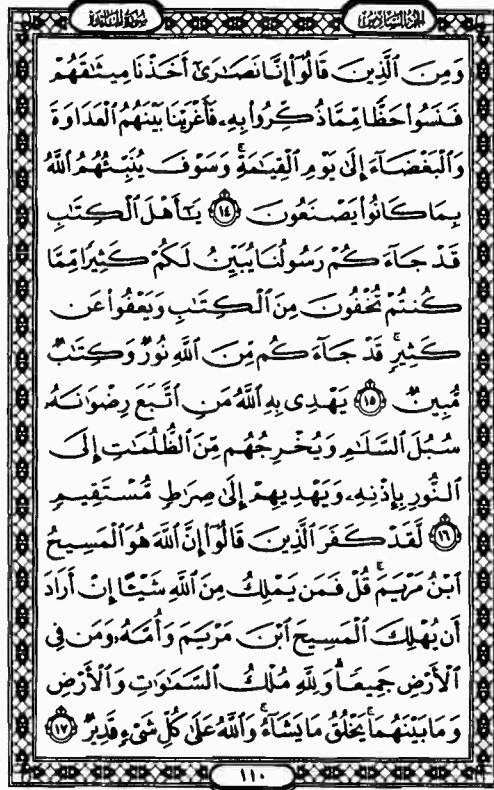
الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان جحود اليهود والنصارى

لكثير من الأحكام الشرعية ودلائل النبوة
المحمدية مكرراً وحسداً من عند أنفسهم .

٢ - أن نعلم أن القرآن حجة على الناس
كافة لبيانه الحق في كل شيء .

٣ - بيان القول الفصل في شأن المسيح
عليه السلام وأمه .



المحتوى التربوي :

في هذه الآيات يقص الله - سبحانه - على نبيه ﷺ وعلى الجماعة المسلمة ، أنه أخذ ميثاق الذين قالوا : إنا نصارى ، من أهل الكتاب ، ولكنهم نقضوا ميثاقهم كذلك . فنالهم جزاء هذا النقض للميثاق ..

ولقد كان أساس الميثاق هو توحيد الله . وهنا كانت نقطة الانحراف الأصلية في خط النصرانية التاريخي . وهذا هو الحظ الذي نسوه مما ذكروا به ؛ ونسيانه هو الذي قاد بعد ذلك إلى كل انحراف . كما أن نسيانه هو الذي نشأ من عنده الخلاف بين الطوائف والمذاهب ، التي لا تكاد تُعد ، في القديم والحديث ، وبينها من العداوة والبغضاء ما يجربنا الله سبحانه أنه باق فيهم إلى يوم القيامة .. جزاء وفاقاً على نقض ميثاقهم معه ، ونسيانهم حظاً مما ذكروا به .. ويبقى جزاء الآخرة عندما ينبتهم الله بما كانوا يصنعون ؛ وعندما يجزيهم وفق ما ينبتهم به بما كانوا يصنعون !

وبعد أن تعرض الآيات موقف اليهود والنصارى من ميثاقهم مع الله .. توجه الآيات الخطاب لأهل الكتاب جميعاً .. هؤلاء هؤلاء .. لإعلانهم برسالة خاتم النبيين ؛ وأنها جاءت إليهم - كما جاءت للعرب الأميين ، وللناس أجمعين .

فهم مخاطبون بها، مأمورون باتباع الرسول الخاتم - وهذا طرف من ميثاق الله معهم كما سبق، وأن هذا الرسول الخاتم قد جاء يكشف لهم عن كثير مما كانوا يخفونه من الكتاب الذى بين أيديهم ؛ والذى است حفظوا عليه فنقضوا عهدهم مع الله فيه ؛ ويعفو كذلك عن كثير مما أخفوه ، ولم تعد هناك ضرورة له فى الشريعة الجديدة .

وتعرض كذلك الآيات بعض الانحرافات التى جاء الرسول الخاتم ﷺ ليقومها فى معتقداتهم : كقول النصارى : إن المسيح عيسى ابن مريم هو الله ، وكقولهم هم واليهود نحن أبناء الله وأحباؤه .. ويختم هذا النداء بأنه لن تكون لهم حجة عند الله بعد الرسالة الكاشفة المبينة المنيرة ؛ ولن يكون لهم أن يقولوا : إنه مرت عليهم فترة طويلة بعد الرسالات فنسوا ولبس الأمر عليهم .

ويقول صاحب الظلال : « وفى هذا النداء الإلهى لأهل الكتاب ، يسجل عليهم أنهم مدعوون إلى الإسلام . مدعوون للإيمان بهذا الرسول ونصره وتأييده كما أخذ عليهم ميثاقه . ويسجل عليهم شهادته - سبحانه - بأن هذا النبى الأسمى هو رسوله إليهم - كما أنه رسول إلى العرب ، وإلى الناس كافة - فلا مجال لإنكار رسالته من عند الله أولاً ؛ ولا مجال للدعاء بأن رسالته مقتصرة على العرب ، أو ليست موجهة إلى أهل الكتاب ثانياً » .

ويبين لهم طبيعة ما جاء به هذا الرسول ، ووظيفته فى الحياة البشرية ، وما قدر الله من أثره فى حياة الناس فلقد جاءهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن الله ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وليس أدق ولا أصدق ولا أدل على طبيعة هذا الكتاب - القرآن - وعلى طبيعة هذا المنهج - الإسلام - من أنه نور .

ويقول صاحب الظلال : « وما أدق هذا التعبير وأصدق ؛ إنه « السلام » هو ما يسكبه هذا الدين فى الحياة كلها .. سلام الفرد وسلام الجماعة وسلام العالم .. سلام الضمير ، وسلام العقل والجوارح .. سلام البيت والأسرة ، وسلام المجتمع والأمة وسلام البشر والإنسانية .. السلام مع الحياة والكون . والسلام مع الله رب الكون والحياة . السلام الذى لا تجده البشرية - ولم تجده يوماً - إلا فى هذا الدين ؛ وإلا فى منهجه ونظامه وشريعته ، ومجتمعه الذى يقوم على عقيدته وشريعته » .

ويقول :

إننا نعانى من ويلات الجاهلية ؛ والإسلام منا قريب . ونعانى من حرب الجاهلية وسلام الإسلام فى متناول أيدينا لو نشاء .. فأية صفقة خاسرة هذه التى نستبدل فيها الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ ونشتري فيها الضلالة بالهدى ؟ ونؤثر فيها الحرب على السلام ؟ إننا نملك

إنقاذ البشرية من ويلات الجاهلية وحربها المشبوبة في شتى الصور والألوان ، ولكننا لا نملك إنقاذ البشرية ، قبل أن ننقذ نحن أنفسنا ، وقبل أن نفىء إلى ظلال السلام ، حين نفىء إلى رضوان الله ونتبع ما ارتضاه . فنكون من هؤلاء الذين يقول الله عنهم إنه يهديهم سبل السلام .

ويمضى السياق ليقرر وجه الحق في قضية المسيح عليه السلام ، وليقول كلمة الفصل ، ويحىء الرسول الخاتم عليه السلام ليبين لأهل الكتاب حقيقة العقيدة الصحيحة ، ويثير فيهم منطق العقل والفطرة والواقع فيفرق تفرقة بين ذات الله سبحانه وطبيعته ومشيتته وسلطانه ، وبين ذات عيسى عليه السلام وذات أمة ، وكل ذات أخرى ، في نصاعة قاطعة حاسمة .

فذاث الله سبحانه - واحدة ، ومشيتته طليقة ، وسلطانه متفرد ، ولا يملك أحد شيئاً في رد أو دفع سلطانه إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً . وهو - سبحانه - مالك كل شيء ، وخالق كل شيء ، والخالق غير المخلوق . وكل شيء مخلوق .

وكذلك تتجلى نصاعة العقيدة الإسلامية ، ووضوحها وبساطتها .. وتزيد جلاء أمام ذلك الركام من الانحرافات والتصورات والأساطير والوثنيات المتلبسة بعقائد فريق من أهل الكتاب وتبرز الخاصة الأولى للعقيدة الإسلامية . في تقرير حقيقة الألوهية ، وحقيقة العبودية والفصل التام الحاسم بين الحقيقتين بلا غش ولا شبهة ولا غموض .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - حرمة نقض العهود ونكث المواثيق ولا سيما ما كان بين العبد وربّه عز وجل .
- ٢ - الغدر والخيانة جبلة في اليهود فقلّ من سلم منهم من هذه الجبلة .
- ٣ - استحباب العفو عند القدرة ، فهذا سمت الصالحين .
- ٤ - نتعلم أن قدرة الله وطلاقة هذه القدرة لا حدود لها ، فهو سبحانه له ملك السموات والأرض ومن فيهن ، وما فيهن وما بينهما وهو سبحانه على كل شيء قدير .
- ٥ - لابد للاهتمام بكتاب الله من إيمان أولاً ، يستتبع ذلك اهتمام بكتاب الله ، ويستتبع ذلك السير بالطرق الموصلة إلى رضوان الله ، ويستتبع ذلك هداية إلى الصراط المستقيم الموصل إلى الجنة .

معاني الكلمات :

أبناء الله : نحن من الله بمنزلة الأنباء من الآباء . فترة : انقطاع للوحى ، وسكون وفتر . الأرض المقدسة : بيت المقدس وما حوله . لا تتردوا : لا ترجعوا منهزمين .

أدباركم : « دبر » كل شىء مؤخرته .

جبارين : لا يمكن مقاومتهم . أنعم الله عليها : بالإيمان والطاعة والشجاعة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١- بيان الرد على مزاعم اليهود والنصارى في قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه .

٢ - بيان فساد اليهود بكشف الآيات عن مخازيهم مع أنبيائهم .

٣ - بيان أهمية الانصياع لأوامر الله



ورسوله كأحد أسباب النصر .

٤ - بيان ضرورة الأخذ بالأسباب والتوكل على الله في كل الأمور .

المحتوى التربوى :

تواصل الآيات ردها على مزاعم اليهود والنصارى فلقد قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وكانوا يقولون - تبعاً لهذا - إن الله لن يعذبهم بذنوبهم ! وإنهم لن يدخلوا النار - وإذا دخلوا - لا يمكنون فيها إلا أياماً معدودات . ومعنى هذا أن عدل الله لا يجرى مجراه ! أو أنه سبحانه - يحابى فريقاً من عباده ، فيدعهم يفسدون في الأرض ثم لا يعذبهم عذاب المفسدين الآخرين ! فأى فساد يمكن أن ينشأ عن مثل هذا التصور ؟

وهنا يرد القرآن على هذا الفساد في التصور ، ويقرر عدل الله الذى لا يحابى أحداً ، ويقرر بطلان ادعاء النبوة ؛ فهم بشر من خلق .

ويقرر عدل الله وقيام المغفرة والعذاب عنده على أصلها الواحد . على مشيئته التى تقر الغفران بأسبابه وتقرر العذاب بأسبابه لا بسبب بنية أو صلة شخصية !

ثم يكرر أن الله هو المالك لكل شيء ، وأن مصير كل شيء إليه ، وينهى هذا البيان بتكرار النداء الموجه إلى أهل الكتاب ، يقطع به حجتهم ومعذرتهم ويفهمهم أمام « المصير » وجها لوجه ، بلا غبش ولا عذر ، ولا غموض . فلا تعود لهم الحجة في أنهم لم يبنهوا ولم يبشروا ولم يندروا في مدى طويل بعد قوله تعالى : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ فقد جاءهم - الآن - بشير ونذير ، ثم يذكرهم أن الله لا يعجزه شيء ؛ لا يعجزه أن يرسل رسولا من الأميين ولا يعجزه كذلك أن يأخذ أهل الكتاب بما يكسبون .

وتنتهى هذه الجولة مع أهل الكتاب ، فتكشف انحرافاتهم عن دين الله الصحيح الذى جاءتهم به رسلهم من قبل . وتقرر حقيقة الاعتقاد الذى يرضاه الله من المؤمنين ، وتبطل حجتهم في موقفهم من النبى الأُمى ؛ وتأخذ عليهم الطريق في الاعتذار يوم الدين .

وبهذا كله تدعوهم إلى الهدى من ناحية ؛ وتضعف تأثير كيدهم في الصف المسلم من ناحية أخرى . وتثير الطريق للجماعة المسلمة ولطلاب الهدى جميعاً .. إلى الصراط المستقيم .

وتستعرض الآيات الموقف الأخير لبنى إسرائيل مع رسولهم موسى ﷺ على أبواب الأرض المقدسة التى وعدهم الله ؛ وموقفهم كذلك من ميثاق ربهم معهم ؛ وكيف نقضوه ؛ وكيف كان جزاؤهم على نقض الميثاق ، فلقد جربهم في مواطن كثيرة .. ثم ما هو ذا معهم على أبواب الأرض المقدسة . أرض الميعاد التى من أجلها خرجوا . الأرض التى وعدهم الله أن يكونوا فيها ملوكاً ، وأن يبعث من بينهم الأنبياء فيها ليطلوا في رعاية الله وقيادته ..

لقد جربهم بحق له أن يشفق ، وهو يدعوهم دعوته الأخيرة ، فيحشد فيه أجل النعم وأكبر البشريات ، وأضخم المشجعات وأشد التحذيرات ؛ نعمة الله ووعدته الواقع من أن يجعل فيهم أنبياء ويجعلهم ملوكاً . وإيتاءه لهم بهذا وذلك ما لم يؤت أحداً من العالمين حتى ذلك التاريخ والأرض المقدسة التى هم مقدمون عليها مكتوبة لهم بوعد الله . فهى إذن يقين وقد رأوا من قبل كيف صدقهم الله وعده . وهذا وعده الذى هم عليه قادمون .. والارتداد على الأدبار هو الخسران المبين ولكن إسرائيل ، هى إسرائيل !! الجبن والنكوص على الأعقاب ونقض الميثاق .

فهم يريدون نصراً رخيصاً ، لا ثمن له ، ولا جهد فيه . نصراً مريحاً ينتزل عليهم تنزل المن والسلوى ، ولكن تكاليف النصر ليست كما تريدها يهود ! وهى فارغة القلوب من الإيثار ! وهنا تبرز قيمة الإيثار بالله ، والخوف منه ، فهذان رجلان من الذين يخافون الله ، ينشئ لها الخوف من الله استهانة بالجبارين ! ويرزقها شجاعة في وجه الخطر الموهوم !

ويقول صاحب الظلال : « وهذان يشهدان بقولتهما ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبُيُوتَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ بقيمة الإيثار في ساعة الشدة ؛ وقيمة الخوف

من الله في مواطن الخوف من الناس . فالله - سبحانه - لا يجمع في قلب عبد بين مخافتين : مخافته - جل جلاله - ومخافة الناس .. والذي يخاف الله لا يخاف أحداً بعده ؛ ولا يخاف شيئاً سواه . »

وتعلمنا هذه المقالة قاعدة في علم القلوب وفي علم الحروب .. أقدموا واقتحموا . فمتى دخلتم على القوم في عقر دارهم انكسرت قلوبهم بقدر ما تقوى قلوبكم ؛ وشعروا بالهزيمة في أرواحهم وكتب لكم الغلب عليهم ..

ويقول صاحب المنار: « قوله : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ أى : بنصر الله وتأيدته لكم إذا أطعتم أمره ، وصدقتم وعده ، ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أى وعليكم بعد أن تعلموا ما يدخل في طاعتكم من طاعة ربكم ، أن تكلوا أمركم إليه وتشقوا به ، فيما لا يصل إليه كسبكم ، فإن التوكل إنما يكون بعد بذل الوسع ، في مراعاة السنة وامتنال الأمر إن كنتم مؤمنين بأن ما وعدكم ربكم على لسان نبيكم حق ، وأنه قادر على الوفاء لكم بوعده إذا أنتم قمتم بما يجب عليكم من طاعته وشكره ، والوفاء بميثاقه وعهده . »

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن دين الإسلام عام للبشرية كلها ، ومنهجه هو أكمل المناهج وأصلحها لحاضر البشرية ومستقبلها .

٢ - أن نتعلم من هذه الآيات رفض الذل والظلم ومقاومة ذلك بكل وسيلة متاحة مهما بلغت التضحيات ؛ لأن ذلك مطلب شرعى في كل دين .

٣ - أن رفض الانصياع للحق ولما أمر الله به بعضيان الرسول ﷺ قد تكون عقوبته في الدنيا فضلاً عن العقوبة في الآخرة ، كما عوقب بنو إسرائيل بالتيه وتحريم الأرض المقدسة عليهم أربعين سنة كاملة لم يستطيعوا دخولها .

٤ - أن الدخول في العمل والمبادرة إليه هو الذى يكسر حدة الخوف والقيود عن العمل الصالح ، وقد طالبنا الله تعالى بالمبادرة إلى فعل الخير في قوله : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (البقرة ١٤٨) .

٥ - روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرمًا مفنداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » .

٦ - الدخول في العمل ، والأخذ بكافة الأسباب مع التوكل على الله هو الكفيل بالنجاح والفلاح وبلوغ الغايات .

معاني الكلمات :

فافرق : افصل بحكمك .

يتيهون في الأرض : يسرون فيها متحيرين
ضالين . فلا تأس : فلا تحزن . نبأ : خبر .

ابنى آدم : هابيل وقايل . قرباناً : ما يتقرب
به من البر إلى الله تعالى .

بسطت إلى يدك : بطشت بي .

أن تبوء بإثمي : أن ترجع بذنب قتلى إذا
قتلتني . إثمك : ذنبك السابق المانع من
قبول قربانك . سوء أخية : جثامه
وعورته .

طوعت له نفسه : سهلت له .

يواري : يخفى ويدفن .

يا ويلنا : كلمة جزع وتحسر .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان مشروعية التقرب إلى الله تعالى بما يحب أن يتقرب به إليه تعالى .
 - ٢ - بيان أول من سن جريمة القتل وهو قاييل ولذا ورد : « ما من نفس تقتل نفساً ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل ذلك بأنه أول من سن القتل » .
 - ٣ - بيان عظم جريمة الحسد وما يترتب عليها من الآثار السيئة .
- المحتوى التربوي :

في هذه الآيات تأتي نهاية المطاف بموسى عليه السلام نهاية الجهد الجهيد ، والسفر الطويل ، واحتمال الرذالات والانحرافات والالتواءات من بنى إسرائيل ! فهاهم ينكصون عن الأرض المقدسة ، وهو معهم على أبوابها ، وينكثون عن ميثاق الله وهو مرتبط معهم بالميثاق ، فيدعو الله دعوة فيها الألم وفيها الالتجاء وفيها الاستسلام : « قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ » ، ويقول صاحب الظلال رحمه الله : « هذا هو أدب النبي ، وهذه هي خطة المؤمن . وهذه هي الأصرة التي يجتمع عليها أو يتفرق المؤمنون لا جنس . لا نسب . لا قوم . لا

لغه . لا تاريخ . ولا شريعة من كل وشائج الأرض إذا انقطعت وشيجة العقيدة ، وإذا اختلف المنهج والطريق .»

واستجاب الله لنبيه ، وقضى بالجزاء العدل على الفاسقين ، وحرّم عليهم الأرض المقدسة التي كتبها لهم ، وتركهم في التيه أربعين سنة .

يقول صاحب الظلال : « ولقد وعى المسلمون هذا الدرس - مما قصه الله عليهم من القصص - فحين واجهوا الشدة وهم قلة أمام نفير قريش في غزوة بدر ، قالوا لنبيهم ﷺ : إذن لا نقول لك يا رسول الله ما قاله بنو إسرائيل لنبيهم : ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ لكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكما مقاتلون .. وكانت هذه بعض آثار المنهج القرآني في التربية بالقصص عامة؛ وبعض جوانب حكمة الله في تفصيل قصص بنى إسرائيل ..» .

ثم ينتقل السياق ليأخذ في بيان بعض الأحكام التشريعية الأساسية في الحياة البشرية وهي الأحكام المتعلقة بحماية النفس والحياة في المجتمع المسلم المحكوم بمنهج الله وشريعته ويقدم أحد النماذج لطبيعة الشر والعدوان بين البشر ، ونموذجاً كذلك للعدوان الصارخ الذي لا مبرر له .

ويقدم كذلك نموذجاً لطبيعة الخير والسباحة ، ويرسم الجريمة التي يرتكبها الشر ، والعدوان الصارخ الذي يثير الضمير ؛ ويثير الشعور بالحاجة الملحة إلى شريعة نافذة بالقصاص العادل ، تكف النموذج الشرير المعتدى عن الاعتداء ؛ وتخوف وتردعه بالتخويف عن الإقدام على الجريمة ، فإذا ارتكبها - على الرغم من ذلك - وجد الجزاء العادل ، المكافئ للفعلة المنكرة . كما تصون النموذج الطيب الخير ، وتحفظ حرمة وتصون دمه .

وهذه القصة هي قصة ابني آدم هابيل وقايل ، ويمكن أن نلخص القصة في صورتها القرآنية المحكمة وهي كما يلي : « كان الرجلان أخوين ، وقدم كل منهما قرباناً إلى الله ، فتقبل الله قربان أحد الأخوين لتقواه وإخلاصه ، ولم يتقبل قربان الآخر لفقده التقوى والإخلاص ، عندئذ قال الذي لم يتقبل قربانه لأخيه الذي تقبل الله قربانه : ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ حسداً له وحقداً عليه ، فرد عليه أخوه بقوله : ﴿ إِنَّمَا يَنْتَقِلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي راجع تقواك وإخلاصك حتى يتقبل الله منك ، وأما تهديدك لي بالقتل فأقول لك فيه : ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ﴾ وهذا ليس من حقك : ﴿ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ ﴾ لأن هذا ليس من صفتي ، فأنا أخاف الله سبحانه أن يراني سافكاً للدم .

وأكد الذي هُدد بالقتل لأخيه أن القاتل ينال عقاب الله في الآخرة على القتل وعلى معصية الله بممارسة الظلم والقتل والحسد والبغى ، وكل ذلك جزاؤه عند الله النار .

وعلى الرغم من هذه النصائح فإن العازم على قتل أخيه لم يتعظ ، بل طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح بهذه الجريمة من الخاسرين في الدنيا بفقده أخاه وأقرب الناس إليه ، وفي الآخرة بما سينال من عذاب الله سبحانه .

وكانت هذه أول جريمة قتل كما يوحى بذلك سياق النص القرآنى بدليل أن الإنسان لم يكن يعرف كيف يدفن ميتة - عندئذ - بعث الله غراباً يبحث في الأرض ويحفر فيها ، فتعلم القاتل من ذلك أن يحفر لأخيه حفرة يواريه فيها ففعل وأدرك أنه جاهل غافل فأصبح من النادمين .

يقول صاحب المنار : « ومعنى الجملة : واتل أيها الرسول على أهل الكتاب وسائر الناس ذلك النبأ العظيم - نبأ ابنى آدم - تلاوة متلبسة بالحق مظهرة له ، بأن تذكره كما وقع ، مبينا ما فيه من الحكمة والكشف عن غريزة البشر وهو ما جبلوا عليه من التباين والاختلاف الذى يفضى إلى التحاسد والبغى والقتل ، ليعلموا حكمة الله فيما شرعه في الدنيا من عقاب الباغين من الأفراد والجماعات والشعوب والقبائل ، وكون هذا البغى من اليهود على رسول الله والمؤمنين ليس من أمر دينهم ، وإنما هو من حسدهم وبغيهم ، فهم في هذا كابنى آدم إذ حسد شرهما خيرهما فبغى عليه فقتله ، وكانت عاقبة ذلك ما بيته هذه الآيات . »

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - قبول الأعمال الصالحة يتوقف على الإخلاص فيها فالله تعالى هو المقصد في كل قول أو عمل .

٢ - أن نعلم علم اليقين أن ما أصابنا من نعم لم يكن ليخطئنا أبداً ، وأن ما أخطأنا منها لم يكن ليصيبنا أبداً ، فذلك هو الإيمان بالقضاء والقدر ، وهو في الوقت نفسه الذى يباعد بيننا وبين أن نحسد الآخرين على ما آتاهم الله من فضله .

٣ - علينا أن ندعو الله للمُنعم عليه أن يزيده الله من نعمه وأن يوفقه في التعامل مع هذه النعمة بما يرضى الله تبارك وتعالى ، فإن هذا الدعاء مفتاح كل خير .

٤ - على من حُرِمَ من نعمة ورأى غيره قد أعطيها أن يعلم أن المنعم سبحانه له في ذلك حكمة ، فليس من الضرورة أن يكون صاحب النعمة أفضل عند الله ممن حرم هذه النعمة وفي ذلك رضا الله تعالى ورضا للنفس يحول بينها وبين الوقوع في نار الحسد والحقد .

معانى الكلمات :

بغير نفس : بغير قتل نفس يوجب القصاص .

أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف : أى تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى .

ينفوا من الأرض : يُبعدوا أو يسجنوا .

خزى : ذل وفضيحة وعقوبة .

ابتغوا إليه الوسيلة : واطلبوا القربى إلى الله بفعل الطاعات وترك المعاصي .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان حكم الحراة وحقيقتها ورأى الفقهاء فيها .

٢ - بيان عظم عفو الله ورحمته بعباده بمغفرته لمن تاب ورحمته له .



٣ - وجوب تقوى الله عز وجل وطلب القربى إليه والجهد في سبيله .

٤ - مشروعية التوسل إلى الله تعالى بالإيمان وصالح الأعمال .

المحتوى التربوى :

في هذه الآيات يلتقط السياق الآثار العميقة التى تركها جريمة القتل فى النفس ، ليجعل منها ركيزة شعورية للتشريع الذى فرض لتلافى الجريمة فى نفس المجرم ؛ أو للقصاص العادل إن هو أقدم عليها بعد أن يعلم آلام القصاص التى تنتظره . من أجل ذلك جعل الله جريمة قتل النفس الواحدة كبيرة ، تعدل جريمة قتل الناس جميعاً ، وجعل العمل على دفع القتل عن نفس واحدة عملاً عظيماً يعدل إنقاذ الناس جميعاً ، وكتب ذلك على بنى إسرائيل فيما شرع لهم من شريعة .

ويقول صاحب الظلال : « إن قتل نفس واحدة - فى غير قصاص لقتل ، وفى غير دفع فساد فى الأرض - يعدل قتل الناس جميعاً ، لأن كل نفس ككل نفس ؛ وحق الحياة واحد ثابت لكل نفس . فقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على حق الحياة ذاته ؛ الحق الذى تشترك فيه كل النفوس . كذلك دفع القتل عن نفس ، واستحيائها بهذا الدفع - سواء كان بالدفاع عنها فى حالة حياتها أو بالقصاص لها فى حالة الاعتداء عليها لمنع وقوع القتل على نفس أخرى - هو استحياء للنفوس جميعاً ؛ لأنه صيانة لحق الحياة الذى تشترك فيه النفوس جميعاً .

ويستطرد السياق ليقرر عقوبة الحراية ، وحدود هذه الجريمة التي ورد فيها هذا النص ، هي الخروج على الإمام المسلم الذى يحكم بشريعة الله ، والتجمع فى شكل عصابة ، خارجة على سلطان هذا الإمام ، تروع أهل دار الإسلام؛ وتعتدى على أرواحهم وأموالهم وحرمانهم . ويشترط بعض الفقهاء أن يكون ذلك خارج المصر بعيداً عن مدى سلطان الإمام ويرى بعضهم أن مجرد تجمع مثل هذه العصابة ، وأخذها فى الاعتداء على أهل دار الإسلام بالقوة ، يجعل النص منطبقاً عليها . سواء خارج المصر أو داخله . وهذا هو الأقرب للواقع العملى ومجاوبته بما يستحقه.

وهؤلاء الخارجون على شريعة الله إنما يحاربون الله ورسوله ، وجزاء هؤلاء الذين يروعون عباد الله فى دار الإسلام ، ويعتدون على أموالهم وأرواحهم وحرمانهم .. أن يقتلوا تقتيلاً عادياً . أو أن يصلبوا حتى يموتوا (وبعض الفقهاء يفسر النص بأنه الصلب بعد القتل للترويع والإرهاب) أو أن تقطع أيديهم اليمنى مع أرجلهم اليسرى .. من خلاف .

ويروى الفقهاء فى مذهب أبى حنيفة والشافعى وأحمد أن العقوبات مرتبة على حسب الجنائية التى وقعت فمن قتل ولم يأخذ مالا قتل ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ، ومن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أخاف السبيل ولكنه لم يقتل ولم يأخذ مالا نفى .

يقول صاحب الظلال : « فى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فالجزاء الذى يلقيه إذن فى الدنيا لا يُسقط عنهم العذاب فى الآخرة ، ولا يطهرهم من دنس الجريمة كبعض الحدود الأخرى . وهذا كذلك تغليظ للعقوبة وتشجيع للجريمة . ذلك أن الجماعة المسلمة فى دار الإسلام يجب أن تعيش آمنة . وذلك أن السلطة المسلمة القائمة على شريعة الله يجب أن تكون مطاعة . فهذا هو الوسط الخير الرفيع الذى يجب توفير الضمانات كلها لازدهاره .. وهذا هو النظام العادل الكامل الذى يجب أن يسان من المساس به ..

فإذا ارتدع هؤلاء الخارجون المفسدون عن غيهم وفسادهم ، نتيجة استشعارهم نكارة الجريمة ، وتوبة منهم إلى الله ورجوعاً إلى طريقه المستقيم . وهم ما يزالون فى قوتهم ، لم تنلهم يد السلطان - سقطت جريمتهم وعقوبتها معاً ، ولم يعد للسلطان عليهم من سبيل ، وكان الله غفوراً لهم رحيماً بهم فى الحساب الأخير . ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ والحكمة واضحة فى إسقاط الجريمة والعقوبة فى هذه الحالة عنهم من ناحيتين :

الأولى : تقدير توبتهم - وهم يملكون العدوان - واعتبارها دليل صلاح واهتداء ..

الثانية : تشجيعهم على التوبة ، وتوفير مؤنة الجهد فى قتالهم من أيسر سبيل .

ولا يكاد ينتهى السياق القرآنى من الترويع بالعقوبة حتى يأخذ طريقه إلى القلوب والضمائر والأرواح يستجيش فيها مشاعر التقوى ؛ ويحثها على ابتغاء الوسيلة إلى الله والجهاد فى سبيله

رجاء الفلاح ، ويحذرهما عاقبة الكفر به ، ويصور لها مصائر الكفار في الآخرة تصويراً موحياً بالخشية والاعتبار .

ويقول صاحب الظلال : « إن هذا المنهج المتكامل يأخذ النفس البشرية من أقطارها جميعاً ؛ ويخاطب الكينونة البشرية من مداخلها جميعاً ؛ ويلمس أوتارها الحية كلها وهو يدفعها إلى الطاعة ويصدها عن المعصية .. إن الهدف الأول للمنهج هو تقويم النفس البشرية وكفها عن الانحراف . والعقوبة وسيلة من الوسائل الكثيرة . وليست العقوبة غاية ، كما أنها ليست الوسيلة الوحيدة .

وهنا نرى أنه يبدأ هذا الشوط بنبأ ابنى آدم - بكل ما فيه من موجبات - ثم يشئ بالعقوبة التي تخلع القلوب . ثم يعقب بالدعوة إلى تقوى الله وخشيته والخوف من عقابه . ومع الدعوة التصوير الرعيب للعقاب ..

ويكون الخوف والرجاء - أى الوسيلة - هما السبيل للفلاح للمؤمنين والثائنين ، على الجانب الآخر المشهد الشاخص للكفار الذين يضرب لهم ما فوق الخيال وهو أنهم لو ملكوا ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا من عذاب الله يوم القيامة ما تقبل الله منهم ولهم عذاب دائم ومقيم فى النار هم فيها خالدون .»

ما ترشدنا إليه الآيات تريبوياً :

١ - فساد بنى إسرائيل لم ينشأ عن الجهل وقلة العلم بل كان اتباعاً للأهواء وجرياً وراء عارض الدنيا ، فلذا غضب الله عليهم ولعنهم ؛ لأنهم عالمون .

٢ - بيان حكم الحراية وهى : خروج جماعة اثنان فأكثر ويكون بأيديهما سلاح ولهم شوكة ، خروجهم بعيداً عن المدن والقرى ، يشنون هجمات على المسلمين فيقتلون ويسلبون ويعتدون على الأعراض . هذه هى الحراية وأهلها يُقال لهم : المحاربون وحكمهم ما ورد فى الآيات .

٣ - وجوب تقوى الله عز وجل وطلب القرية إليه والجهاد فى سبيله .

٤ - مشروعية التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة { قصة الثلاثة أصحاب الغار } .

٥ - لا فدية يوم القيامة ولا شفاعاة تنفع الكافرين فيخرجون بها من النار .

معاني الكلمات :

نكالا : عقوبة تمنع الإنسان من أن يعود إلى فعل ما يعاقب عليه . بأقوالهم : بالسبب . سماعون للكذب : يسمعون كلامك ، ثم يمسخونه ليكذبوا عليك فيه .

سماعون لقوم آخرين : يسمعون كلامك للتجسس لآخرين . يحرفون الكلم : يبدلونه أو يؤولونه بالباطل . فتنه : ضلاله وكفره أو إهلاكه . خزي : افتضاح وذل .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم الحكمة من تشريع حد السرقة وضرورته لأمن وسلامة المجتمع .
- ٢ - أن نعلم أن باب التوبة مفتوح إذا كانت خالصة بشروطها الشرعية .



٣ - أن نبين طبائع اليهود والمنافقين من سماع للكذب وتحريف لكلام الله .

٤ - أن نوقن بأن تطبيق حدود الله على عباد الله هو الحل الأمثل لمقاومة الجريمة والعدوان، والسبيل الوحيد لاستقرار وأمن المجتمع .

المحتوى التربوي :

هذا المقطع امتداد للمقطع السابق من حيث إنه يأمر بحسم مادة الفساد في الأرض بجهد الكافرين وقطع يد السارق والسارقة ؛ مجازاة لهما على صنيعهما السيئ في أخذ أموال الناس بأيديهم، فالمجتمع المسلم يوفر لأهل دار الإسلام - على اختلاف عقائدهم - ما يدفع خاطر السرقة عن كل نفس سوية ، إنه يوفر لهم ضمانات العيش والكفاية . وضمانات التربية والتقويم . وضمانات العدالة والتوزيع .

وفي الوقت ذاته يجعل كل ملكية فردية فيه تنب من حلال ؛ ويجعل الملكية الفردية وظيفية اجتماعية تنفع المجتمع ولا تؤذي . ومن أجل هذا كله يدفع خاطر السرقة عن كل نفس سوية ، فمن حقه إذن أن يشدد في عقوبة السرقة ، والاعتداء على الملكية الفردية ، والاعتداء على أمن الجماعة .. ومع تشديده فهو يدرأ الحد بالشبهة ؛ ويوفر الضمانات كاملة للمتهم حتى لا يؤخذ بغير الدليل الثابت .

والسرقة هي أخذ مال الغير المحرّز ، خفية .. فلا بد أن يكون المأخوذ مالاً مقوماً .. والحد المتفق عليه تقريباً بين فقهاء المسلمين الذي يعد أخذه من حرزه خفية سرقة هو ما يعادل ربع دينار .. ولا بد أن يكون هذا المال محرّزاً وأن يأخذه السارق من حرّزه ، ويخرج به عنه ، فلا قطع مثلاً على المؤمن على مال إذا سرقه . والخادم المأذون له بدخول البيت لا يقطع فيما يسرق ؛ لأنه ليس محرّزاً منه ولا على المستعير إذا جحد العارية ، ولا على الثمار في الحقل حتى يؤويها الجرين ، ولا على المال خارج البيت أو الصندوق المعد لصيافته وهكذا ، ولا بد أن يكون هذا المال المحرّز للغير ، فلا قطع حين يسرق الشريك من مال شريكه ، لأن له فيه شركة فليس خالصاً للغير ، والذي يسرق من بيت مال المسلمين لا يقطع ، لأن له نصيباً فيه فليس خالصاً للغير كذلك ، والعقوبة في مثل هذه الحالات ليست القطع ، وإنما التعزير (والتعزير عقوبة دون الحد ، بالجلد أو بالحبس أو بالتوبيخ أو بالموعظة في بعض الحالات التي يناسبها هذا حسب رأى القاضي والظروف المحيطة) .

والقطع يكون لليد اليمنى إلى الرسغ ، فإذا عاد كان القطع في الرجل اليسرى إلى الكعب وهذا هو القدر المتفق عليه في القطع ، ثم تختلف بعد ذلك آراء الفقهاء عند الثالثة والرابعة .

والشبهة تدرأ الحد ، فشبهة الجوع والحاجة تدرأ الحد ، وشبهة الشركة في المال تدرأ الحد ، ورجوع المعترف في اعترافه - إذا لم يكن هناك شهود - شبهة تدرأ الحد ، ونكول الشهود شبهة .

يقول صاحب الظلال : « وعلة فرض عقوبة القطع للسرقة أن السارق حينها يفكر في السرقة إنما يفكر في أن يزيد كسبه بكسب غيره . فهو يستصغر ما يكسبه عن طريق الحلال ، ويريد أن ينمي من طريق الحرام ، وهو لا يكتفى بثمره عمله ، فيطمع في ثمرة عمل غيره ، وهو يفعل ذلك ليزيد من قدرته على الإنفاق أو الظهور ، أو ليرتاح من عناء الكد والعمل . أو ليأمن على مستقبله .

فالدافع الذي يدفع إلى السرقة ويرجع إلى هذه الاعتبارات هو زيادة الكسب أو زيادة الثراء ، وقد حاربت الشريعة هذا الدافع في نفس الإنسان بتقرير عقوبة القطع ؛ لأن قطع اليد أو الرجل يؤدي إلى نقص الكسب ، إذ اليد والرجل كلاهما أداة العمل أيّا كان . ونقص الكسب يؤدي إلى نقص الثراء . وهذا يؤدي إلى نقص القدرة على الإنفاق وعلى الظهور ، ويدعو إلى شدة الكد وكثرة العمل ، والتخوف الشديد على المستقبل .

فالشريعة الإسلامية بتقريرها عقوبة القطع دفعت العوامل النفسية التي تدعو لارتكاب الجريمة بعوامل نفسية مضادة تصرف عن جريمة السرقة ، فإذا تغلبت العوامل النفسية الداعية ، وارتكب الإنسان الجريمة مرة كان في العقوبة والمرارة التي تصيبه منه ما يغلب العوامل النفسية الصارفة ، فلا يعود للجريمة مرة ثانية .

وعلى ذكر الجريمة والعقاب ، يذكر التوبة والمغفرة ، ويعقب السياق القرآنى بالمبدأ الكلى الذى تقوم عليه شريعة الجزاء فى الدنيا والآخرة . فخالق هذا الكون ومالكه هو صاحب المشيئة العليا فيه وصاحب السلطان الكلى فى مصائره ، هو الذى يُقرر مصائره ومصائر من فيه ، كما أنه هو الذى يُشرع للناس فى حياتهم ، ثم يجزيهم على عملهم فى دنياهم وآخرتهم .

ويستطرد السياق إلى الحديث عن أفعال اليهود والنصارى التى كانت تحزن الرسول ﷺ ، والتى منها المسارعة فى الكفر ، وهذه الآيات تشي بأنها مما نزلت فى السنوات الأولى فى الهجرة ؛ حيث كان اليهود ما يزالون فى المدينة - أى قبل غزوة الأحزاب على الأقل - وقبل التنكيل ببنى قريظة إن لم يكن قبل ذلك ، أيام أن كان هناك بنو النضير ، وبنو قينقاع ، وأولاهما أجليت بعد أحد ، والثانية أجليت قبلها - ففى هذه الفترة كان اليهود يقومون بمناوراتهم هذه ، وكان المنافقون يأرزون إليهم كما تأرز الحية إلى الجحر ! وكان هؤلاء يسارعون فى الكفر ؛ لو قال المنافقون بأفواههم : آمنا ، وكان فعلهم هذا يحزن الرسول ﷺ ويؤذيه .

ويقول صاحب الأساس : « فى هذه الآيات نهى لرسول الله ﷺ أن يحزن لمسارعة نوعين من الناس فى الكفر ، المنافقين واليهود ، ووصف هؤلاء ، ووعد لهم بالذلة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، وقطع رجاء المؤمنين من إيمانهم ، وهذه قضية مهمة ، إذ ما السبب الذى استحق به هؤلاء عقوبة ألا يُظهر الله قلوبهم ؟ أما المنافقون فسبب ذلك سماعهم للكذب سماع قبول ، وتجسسهم لحساب أعداء الله ، وأما اليهود فسبب ذلك تحريفهم كتاب الله ، وإرادتهم أن يكونوا قواماً على دين محمد ﷺ بدلاً من الإسلام له ، وسماعهم للكذب ، وأكلهم المال الحرام » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - ضرورة المحافظة على أمن المجتمع والمحافظة على أموال الناس وأعراضهم ، وأن العدوان على شيء من ذلك يوقع على المعتدى عقاباً دنيوياً بقطع يده إذا بلغ قدر المسروق نصاباً معيناً ، وعقاباً آخروياً عند الله تعالى .

٢ - نتعلم من هذه الآيات الكريمة أن باب التوبة مفتوح ، وأن الإسلام يُرحب بالتوبة ، والله سبحانه يعفو ويغفر بشرط أن تكون التوبة نصوحاً خالصة لله تعالى مصحوبة بالندم ورد المظالم إلى أهلها .

٣ - تطبيق حدود الله على عباد الله هو الحل الأمثل لمقاومة الجريمة والعدوان وترويع الأمنين ، وهو السبيل لاستقرار العدل والأمن فى المجتمع .

٤ - حرمة سماع الكذب لغير حاجة تدعو إلى ذلك .

٥ - حرمة تحريف الكلام وتشويهه ، والحرص على ودقة النقل من وإلى الآخرين .

معاني الكلمات :

أكلون للسحت : يأكلون - كثيراً - المال الحرام . « الرشوة » . بالقسط : بالعدل .

يتولون من بعد ذلك : يعرضون .

الربانيون : عبّاد اليهود أو العلماء والفقهاء .

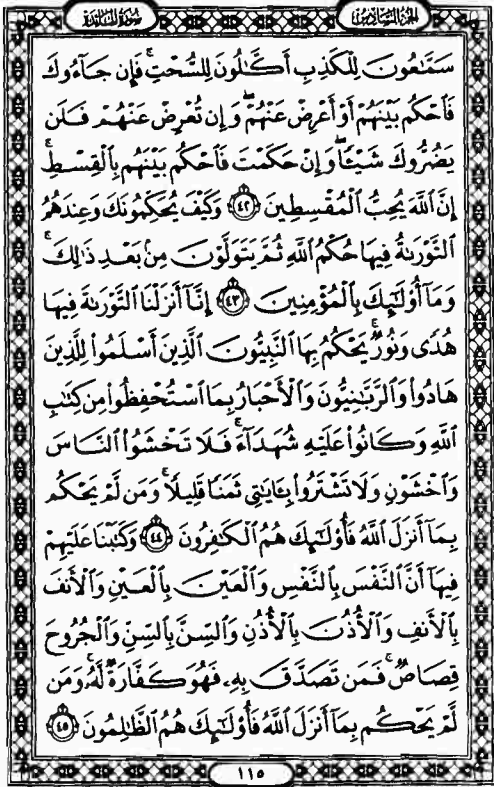
الأخبار : علماء اليهود . فمن تصدق به :

فمن عفا عنه وتصدق عليه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان مقتضى الإيمان الصحيح وواجب المسلمين في تبيان كتاب الله للناس للحكم بما فيه ، وإلا فليسوا بمؤمنين .

٢ - بيان حرمة الكذب والسحت « الرشوة » وأثرها السيئ على الفرد والمجتمع ووجوب تحريمها .



٣ - بيان أهمية القصاص في التشريع الإسلامي لسلامة الفرد وأمن المجتمع .

المحتوى التربوي :

في هذه الآيات بعد أن وجه الله عز وجل نبيه في شأن هؤلاء المسارعين بالكفر ، وفي شأن هؤلاء المتأمرين : لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ، فهم يسلكون سبيل الفتنة ، وهم واقعون فيها ، وليس لك من الأمر شيء ، وما أنت بمستطيع أن تدفع عنهم الفتنة وقد سلخوا طريقها ، ولجوا فيها فلا عليك منهم ، ولا يحزنك كفرهم ، ولا تحفل بأمرهم . فهو أمر مقضى فيه .

ثم يمضي في بيان حال القوم ، وما انتهوا إليه من فساد في الخلق والسلوك ، قبل أن يبين لرسول الله ﷺ كيف يتعامل معهم إذا جاؤوا إليه متحاكمين ، فكرر أنهم سماعون للكذب مما يشي بأن هذه أصبحت خصلة لهم ، تهش نفوسهم لسماع الكذب والباطل ، وتقبض لسماع الحق والصدق ، وهذه طبيعة القلوب حين تفسد ، وعادة الأرواح حين تنطمس .

وهؤلاء : سماعون للكذب . أكلون للسحت ؛ والسحت كل مال حرام ، والربا والرشوة وثنم الكلمة والفتوى ! في مقدمة ما كانوا يأكلون ، وفي مقدمة ما تأكله المجتمعات التي تنحرف عن منهج الله في كل زمان ! وسمى الحرام سحتاً ، لأنه يقطع البركة ويمحقها ، وما أشد انقطاع البركة وزوالها من المجتمعات المنحرفة ، كما رأينا ذلك بأعيننا في كل مجتمع شارد عن منهج الله

وشريعة الله ، ويجعل الله الأمر للرسول بالخيار في أمرهم إذا جاؤوه يطلبون حكمه - فإن شاء أعرض عنهم - ولن يضروه شيئاً - وإن شاء حكم بينهم ، فإذا اختار أن يحكم حكم بينهم بالقسط ، غير متأثر بأهوائهم ، وغير متأثر كذلك بمسارعتهم في الكفر ومؤامراتهم ومناوراتهم .

وقد عقب السياق بسؤال استنكارى على موقف يهود فهمى كبيرة مستنكرة أن يحكموا رسول الله ﷺ فيحكم بشريعة الله وحكم الله ، وعندهم - إلى جانب هذا - التوراة فيها شريعة الله وحكمه ، فيتطابق حكم رسول الله ﷺ وما عندهم في التوراة مما جاء القرآن مصداقاً له ومهيماً عليه ، ثم من بعد ذلك يتولون ويعرضون ، سواء كان التولى بعدم التزام الحكم ؛ أو بعدم الرضا به ، ولا يكتفى السياق بالاستنكار ، ولكنه يقرر الحكم الإسلامى في مثل هذا الموقف : ﴿ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ذلك كان حكم الله على المحكومين الذين لا يقبلون حكم شريعة الله في حياتهم ، فالآن يحىء حكمه - تعالى - على الحاكمين ، الذين لا يحكمون بها أنزل الله . الحكم الذى تلتقى جميع الديانات التى جاءت من عند الله عليه ويبدأ بالتوراة ، وبيان ما فيها من هدى ونور .

يقول صاحب الظلال: « لقد جاء كل دين من عند الله ليكون منهج حياة . منهج حياة واقعية . جاء الدين ليتولى قيادة الحياة البشرية ، وتنظيمها ، وتوجيهها ، وصيانتها . ولم يحىء دين من عند الله ليكون مجرد عقيدة في الضمير ؛ ولا ليكون كذلك مجرد شعائر تعبدية تؤدى في الهيكل والمحراب . والحياة البشرية لا تستقيم إلا إذا تلقت العقيدة والشعائر والشرائع من مصدر واحد ؛ يملك السلطان على الضمائر والسرائر ، كما يملك السلطان على الحركة والسلوك . ويميز الناس وفق شرائعه في الحياة الدنيا ، كما يميزهم وفق حسابه في الحياة الآخرة .

فالتوراة - كما أنزلها الله - كتاب الله الذى جاء لهداية بنى إسرائيل ، وإنارة طريقهم إلى الله . وطريقهم في الحياة ، وقد جاءت تحمل عقيدة التوحيد . وتحمل شعائر تعبدية شتى ، وتحمل كذلك شريعة ﴿ تَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ .

وقبل أن ينتهى السياق من الحديث عن التوراة ، يلتفت إلى الجماعة المسلمة ، ليوحيها في شأن الحكم بكتاب الله عامة ، وما قد يعترض هذا الحكم من شهوات الناس وعنادهم وحريهم وكفاحهم ، وواجب كل من استحفظ على كتاب الله في مثل هذا الموقف ، وجزاء نكوله أو مخالفته ، وعلم الله - سبحانه - أن الحكم بما أنزل ستواجهه هذه المقاومة من شتى الجبهات ، وأنه لابد للمستحفظين عليه والشهداء أن يواجهوا هذه المقاومة ؛ وأن يصمدوا لها ، وأن يحتملوا تكاليفها في النفس والمال ؛ لذا يناديهم ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَالْإِنْسَانُ خَشَوْنَ ﴾ . ويقرر الأصل القاعدى في دين الله كله وهو ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

وبعد بيان هذا الأصل ، يعود السياق لعرض نماذج من شريعة التوراة التى أنزلها الله ليحكم بها النبيون والربانيون والأخبار للذين هادوا - بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء :

﴿ وَكُنْتُمْ عَلَيْكُمْ فِيهَا ﴾ وقد استبقيت هذه الأحكام التي نزلت بها التوراة في شريعة الإسلام ، وأصبحت جزءاً من شريعة المسلمين ، التي جاءت لتكون شريعة البشرية كلها إلى آخر الزمان ، وإن كانت لا تطبق إلا في دار الإسلام . لاعتبارات عملية بحثة ؛ حيث لا تملك السلطة المسلمة أن تطبقها فيما وراء حدود دار الإسلام ، وحيثما كان ذلك في استطاعتها فهي مكلفة بتنفيذها وتطبيقها ، بحكم أن هذه الشريعة عامة للناس كافة ، للأزمان كافة ، كما أرادها الله ، وقد أضيف إليها في الإسلام حكم آخر في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ .

ولم يكن ذلك في شريعة التوراة . إذا كان القصاص حتماً ؛ لا تنازل فيه ، ولا تصدق به ، ومن ثم فلا كفارة .

ويقول صاحب الظلال : « إن هذا المبدأ العظيم - القصاص - الذي جاءت به شريعة الله هو الإعلان الحقيقي الكامل لميلاد « الإنسان » الإنسان الذي يستمتع كل فرد فيه بحق المساواة ، أولاً في التحاكم إلى شريعة واحدة وقضاء واحد ، وثانياً في المقاصة على أساس واحد وقيمة واحدة » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - نتعلم من الآيات الكريمة أن الذين يرغبون في أن يتحاكموا إلى الحق والعدل ، ثم لا يقبلونه لا يمثلون إلا قيمة رخيصة في المجتمع الإنساني ، إذ لا ينبغي أن يميل أحد عن الحق والعدل ، ولن يستطيعوا أن يتحدثوا الحق دائماً وإنما هي جولة زمنها ساعة ثم دولة الحق إلى قيام الساعة .

٢ - نتعلم كذلك أن الذين يكتُمون شيئاً من كتاب الله أو يعطلونه ليسوا مؤمنين وإن زعموا الإيمان ؛ لأن مقتضى الإيمان أن ياتمر المؤمن بما أمر الله به ، وأن ينتهي عما نهى الله عنه .

٣ - نتعلم من الآيات أن من معاني « السُّخْتِ » الرشوة ، وهي من أخطر أمراض المجتمع ، وأجمع العلماء على أن الرشوة تخل بمروءة الراشي والمرتشي ، لأن هذا يأخذ ما ليس من حقه ، وذاك يعطى من لا يستحق ليأخذ ما ليس من حقه ، لذا فهي تخل بالدين والتدين إذ لا دين لمن لا مروءة له ، ولما قاله ﷺ : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » وقال العلماء : « من السحت أن يأكل الرجل بجاهه » .

٤ - أن يعلم الدعاة إلى الله أن من سنة الله أن يكون الحكم بما أنزل الله له أعداء يواجهونه ويحاولون أن يعطلوه في كل زمان ومكان ، وكذلك من سنته أن يصطفى من يدافع عن دينه ، ويطالب بأن يكون الحكم لله ، ويضحون من أجل ذلك بالغالي والنفيس حتى ينالوا إحدى الحسنين النصر أو الشهادة .

معاني الكلمات :

قفينا على آثارهم : أتبعنا على آثار النبيين .

مهيماً عليه : رقيباً أو شاهداً على ما سبقه .

عما جاءك : عادلاً عما جاءك .

شرعة ومنهاجاً : شريعة وطريقاً واضحاً

في الدين . ليلوكم : ليختبركم وهو أعلم

بأمركم . أن يفتنوك : يصرفوك ويصدوك

بكيدهم . أن يصيبهم : أن يعاقبهم .

يوقنون : يعتقدون .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان العلاقة بين الكتب السماوية

من حيث وحدة المصدر واتفاق الغاية .

٢ - بيان عاقبة وحكم من لم يحكم بما

أنزل الله .



٣ - بيان نعمة الله ورحمته على الأمة بتبليغ الرسالة الخاتمة .

٤ - أن نعرف ما الجاهلية لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ستنقض عرى الإسلام عروة عروة ، عروة

إذا جاء في الإسلام من لا يعرف الجاهلية » .

المحتوى التربوي :

تستأنف هذه الآيات الحكم العام بأن : « من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » باطراده فيما بعد التوراة فقد أتى الله عيسى ابن مريم الإنجيل ، ليكون منهج حياة ، وشريعة حكم ، وقد جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة ، فاعتمد شريعتها ، وجعل الله فيه هدى ونوراً للمتقين ، وجعله منهج حياة وشريعة حكم لأهل الإنجيل أى إنه خاص بهم ، فليس رسالة عامة للبشر ، شأنه في هذا شأن التوراة ، وشأن كل كتاب ، وكل رسالة وكل رسول ، قبل هذا الدين الأخير - ولكن ما طابق من شريعته التي هي شريعة التوراة حكم القرآن ، فهو من شريعة القرآن كما مربنا في شريعة القصاص .

وأهل الإنجيل إذن كانوا مطالبين أن يتحاكموا إلى الشريعة التي أقرها وصدقها الإنجيل من شريعة التوراة « وَلَيَحْكُمَنَّ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ » فالقاعدة هي الحكم بما أنزل الله دون سواه وهم اليهود ، كذلك لن يكونوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل - قبل الإسلام -

وما أنزل إليهم من ربهم - بعد الإسلام - فكله شريعة واحدة، هم ملزمون بها ، وشريعة الله الأخيرة هي الشريعة المعتمدة .

ثم تأتى الرسالة الأخيرة ، إنها الرسالة التى جاءت تعرض « الإسلام » فى صورته النهائية الأخيرة ؛ ليكون دين البشرية كلها ؛ ولتكون شريعته هى شريعة الناس جميعاً ؛ ولتهيمن على كل ما كان قبلها وتكون هى المرجع النهائى ؛ ولتقيم منهج الله لحياة البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، المنهج الذى تقوم عليه الحياة فى شتى شعبها ونشاطها ؛ والشريعة التى تعيش الحياة فى إطارها وتدور حول محورها ؛ وتستمد منها تصورها الاعتقادى ، ونظامها الاجتماعى ، وآداب سلوكها الفردى والجماعى .

وقد جاءت كذلك ليحكم بها ، لا لتعرف وتدرس ، وتتحول إلى ثقافة فى الكتب والدفاتر ! وقد جاءت لتُتبع بكل دقة ، فإما هذا وإما فهى الجاهلية والهوى ، ولا يشفع فى هذه المخالفة أن يقول أحد إنه يجمع بين الناس بالتساهل فى الدين ، فلو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة . إنما يريد أن تحكم شريعته ، ثم يكون من أمر الناس ما يكون .

ومن ثم فكل اختلاف يجب أن يرد إلى القرآن ليفصل فيه ، ولا قيمة لأراء الرجال ما لم يكن لها أصل تستند إليه من هذا البيان الأخير من الله للبشر ، وتترتب على هذه الحقيقة مقتضياتها المباشرة : ﴿ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ .

يقول صاحب الظلال :

« لقد كمل هذا الدين ، وتمت به نعمة الله على المسلمين ، ورضيه الله لهم منهج حياة للناس أجمعين . ولم يعد هنالك من سبيل لتعديل شىء فيه أو تبديله ، ولا لترك شىء من حكمه إلى حكم آخر ، ولا لشىء من شريعته إلى شريعة أخرى . وقد علم الله حين رضيه للناس ، أنه يسع الناس جميعاً . وعلم الله حين رضيه مرجعاً أخيراً أنه يحقق الخير للناس جميعاً وأنه يسع حياة الناس جميعاً إلى يوم الدين ، وأى تعديل فى هذا المنهج - ودعك من العدول عنه - هو إنكار لهذا المعلوم من الدين بالضرورة يخرج صاحبه من هذا الدين . ولو قال باللسان ألف مرة : إنه من المسلمين !

وتؤكد الآيات أن أى محاولة للتساهل فى شىء من شريعة الله ، انحراف للبشرية عن منهج الله مهما كانت الأسباب ، وتنتهى الآيات النبى ﷺ عن اتباع أهوائهم عما جاءه من الحق ، ثم يحذره من فتنهم له عن بعض ما أنزل الله إليه ، ويهون على رسول الله ﷺ أمرهم إذا لم يعجبهم هذا الاستمسك الكامل بالصغيرة قبل الكبيرة فى هذه الشريعة ، ولا تجعل إعراضهم يفت فى عضدك أو يحولك عن موقفك .. فإنهم إنما يتولون ويعرضون ، لأن الله يريد أن يجزيهم على بعض ذنوبهم، فهم الذين سيصيبهم السوء بهذا الإعراض . لا أنت ولا شريعة الله ودينه ؛ ولا الصف المسلم المستمسك بدينه ، ثم إنها طبيعة البشر : « وإن كثيراً من الناس لفاسقون » فهم

يخرجون وينحرفون ، لأنهم هكذا ؛ ولا حيلة لك في هذا الأمر ، ولا ذنب للشرية ، ولا سبيل لاستقامتهم على الطريق .

وبذلك يغلق كل منافذ الشيطان ومداخله إلى النفس المؤمنة ؛ يأخذ الطريق على كل حجة وكل ذريعة لترك شيء من أحكام هذه الشريعة ؛ لغرض من الأغراض ؛ في ظرف من الظروف ثم يقفهم على مفرق الطريق ، فإنه إما حكم الله ، وإما حكم الجاهلية . ولا وسط بين الطرفين ولا بديل ، حكم الله يقوم في الأرض ، وشرية الله تنفذ في حياة الناس ، ومنهج الله يقود حياة البشر ، أو أنه حكم الجاهلية وشرية الهوى ، ومنهج العبودية فأيهما يريدون ؟

يقول صاحب الظلال : « إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص . فالجاهلية - كما يصفها الله ويحددها قرآنه - هي حكم البشر للبشر ، لأنها هي عبودية البشر للبشر ، والخروج من عبودية الله ، ورفض ألوهية الله ، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر والعبودية لهم من دون الله .

إن الجاهلية ليست فترة من الزمان ؛ ولكنها وضع من الأوضاع . هذا الوضع يوجد بالأمس ، ويوجد اليوم ، ويوجد غداً ، يأخذ صفة الجاهلية ، المقابلة للإسلام ، والمناقضة للإسلام . والناس - في أي زمان وفي أي مكان - إما أنهم يحكمون بشرية الله - دون فتنة عن بعض منها - ويقبلونها ويسلمون بها تسليماً ، فهم إذن في دين الله . وإما أنهم يحكمون بشرية من صنع البشر ويقبلونها فهم إذن في جاهلية » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن رحمة الله سبحانه بخلقه مستمرة عبر أجيال الزمان كله ، كلما مضى رسول كريم بعث الله على أثره رسولاً آخر يقفو أثره ، وكل واحد من الرسل والأنبياء بذل ما استطاع من جهد لنقل الناس من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى .

٢ - أن مواصلة العمل في الدعوة إلى الله والتبليغ عنه ضرورة شرعية حيوية ، لا يُستطاع الوصول إلى الحق إلا من خلالها ، ولا بد من الوصول إلى الحق بمعنى تجليته ودعوة الناس إليه .

٣ - دين الإسلام هو الذي حرّر الأديان السابقة من شبهات التحريف والتبديل والوهم والخرافة وعبادة الناس والأشياء واتخاذهم آلهة من دون الله .

٤ - لا يجوز للمسلمين أن يتركوا ما شرع الله لهم ؛ ليأخذوا بالقوانين الوضعية التي لا تتخذ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله أساساً وهي تشرع للناس ما يتعاملون به مع الله ومع الناس والأشياء ، فيما يتصل بالدنيا والآخرة .

معاني الكلمات :

- أولياء : توأخونهم وتستنصرونهم .
 مرض : شك ونفاق .
 تخشى أن تصيبنا دائرة : نخاف حوادث الدهر وشروره .
 بالفتح : بالنصر لرسوله ﷺ .
 أو أمر من عنده : أو يهلكهم بأمر من عنده
 جهد أيانهم : مجتهدين في الحلف بأغلظ الأيمان . حبطت : بطلت وضاع ثوابها .
 أذلة على المؤمنين : رجاء بهم متواضعين .
 أعزة على الكافرين : أشداء عليهم .
 لومة لائم : اعتراض معترض .
 الله واسع : كثير الفضل والكرم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان تحريم موالاة اليهود والنصارى من دون المؤمنين .
- ٢ - بيان الفرق بين الموالاة لليهود والنصارى وحسن معاملتهم .
- ٣ - أن نتخلق بصفات العصبية التي اختارها الله لنصرة دينه .
- ٤ - أن نعلم سمات الفتنة المولية لله ورسوله وللمؤمنين .

المحتوى التربوي :

في هذه الآيات يربى القرآن وعى المسلم بحقيقة أعدائه ، وحقيقة المعركة التي يخوضها معهم ويخوضونها معه ، إنها معركة العقيدة فهي القضية القائمة بين المسلم وكل أعدائه ، وهم يعادونه لعقيدته ودينه ، قبل أى شئ آخر ، وهم يعادونه هذا العداء الذى لا يهدأ لأنهم هم فاسقون عن دين الله ، ومن ثم يكرهون كل من يستقيم على دين الله ﴿ قُلْ يَتَاهَل الْكِتَابُ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ فهذه هى طبيعة المعركة ، وهذه هى الدوافع الأصلية .

لذا ينهى الله عز وجل - الذين آمنوا أن تكون بينهم وبين اليهود والنصارى أى ولاية، والولاية تعنى التناصر والتحالف معهم . ولا تتعلق بمعنى اتباعهم فى دينهم . فبعد جداً أن

يكون بين المسلمين من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين . إنها هو ولاء التحالف والتناصر ، الذى كان يلتبس على المسلمين أمره ، فيحسبون أنه جائز لهم ، بحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والأواصر ، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام ، وفى أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة ، حتى نهاهم الله عنه وأمر بإبطاله ، بعدما تبين عدم إمكانية قيام الولاء والتحالف والتناصر بين المسلمين واليهود في المدينة .

يقول صاحب الظلال : « إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب ، ولكنه منهى عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم . وإن طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقى مع طريق أهل الكتاب ، ومهما أبدى لهم من السماحة والمودة فإن هذا لن يبلغ أن يرضوا له البقاء على دينه وتحقيق نظامه ، ولن يكفهم عن موالة بعضهم لبعض في حربه والكيد له ، وسذاجة أية سذاجة وغفلة أية غفلة ، أن نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين ! أمام الكفار والملحدين ! فهم مع الكفار والملحدين ، إذا كانت المعركة مع المسلمين !! » .

ثم رتب على هذه الحقيقة الأساسية نتائجها ، فإنه إذا كان اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض فإنه لا يتولاهم إلا من هو منهم ، والفرد الذى يتولاهم من الصف المسلم ، يخلع نفسه من الصف ويخلع عن نفسه صفة هذا الصف « الإسلام » وينضم إلى الصف الآخر : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ » ؛ وكان ظالماً لنفسه ولدين الله وللجماعة المسلمة ، وبسبب ظلمه هذا يدخله الله في زمرة اليهود ، والنصارى الذين أعطاهم ولاءه ، ولا يهديه إلى الحق ، ولا يرده إلى الصف المسلم .

ويهدد القرآن المستنصرين بأعداء دينهم ، المتألبين عليهم ، المنافقين الذين لا يخلصون الله اعتقادهم ولا ولاءهم ولا اعتمادهم ، يهددهم برجاء الفتح أو أمر الله الذى يفصل في الموقف أو يكشف المستور من النفاق .

وبعد أن ينتهى السياق من النداء الأول للذين آمنوا ، أن ينتهوا عن موالة اليهود والنصارى ، وأن يحذروا أن يصيروا منهم بالولاء لهم ، وأن يرتدوا بذلك عن الإسلام . وهم لا يشعرون أو لا يقصدون - يرسل بالنداء الثانى ، يهدد من يرتد منهم عن دينه - بهذا الولاء أو بسواه من الأسباب - بأنه ليس عند الله بشيء ، وليس بمعجز الله ولا ضار بدينه ، وأن لدين الله أولياء وناصرين مدخرين لعلم الله ، إن ينصرف هؤلاء ينجى هؤلاء ، ويصور ملامح هذه العصبة المختارة المدخرة في علم الله لدينه ، وهى ملامح محبة جميلة وضيئة . وبين جهة الولاء الوحيدة التى يتجه إليها المسلم بولائه ، ويختتم هذا النداء بتقرير النهاية المحتملة للمعركة التى يخوضها حزب الله مع الأحزاب ! والتى يتمتع بها من يخلصون ولاءهم لله ولرسوله وللمؤمنين .

يقول صاحب الظلال : إن اختيار الله للعصبة المؤمنة ، لتكون أداة القدر الإلهى إقرار دين الله في الأرض ، وتمكين سلطانه في حياة البشر ، وتحكيم منهجه في أوضاعهم وأنظمتهم ، وتنفيذ

شريعته في أفضيتهم وأحوالهم ، وتحقيق الصلاح والخير والطهارة والنماء في الأرض بذلك المنهج وهذه الشريعة ، إن هذا الاختيار للنهوض بهذا الأمر هو مجرد فضل الله ومنته ، فمن شاء أن يرفض هذا الفضل وأن يحرم نفسه هذه المنة ، فهو وذاك . والله غنى عنه - وعن العالمين ، والله يختار من عباده من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم » .

ويحدد عز وجل سمات العصابة التي اختارها للولاء له ولنصره دينه ، وأول هذه السمات الحب والرضا المتبادل بينهم وبين ربهم وكذلك هم أذلة على المؤمنين ؛ وليست مذلة ومهانة إنما هي الأخوة ترفع الحواجز ، وتزيل التكلف وتخلط النفس بالنفس ، فلا يبقى فيها ما يستعصى وما يحتجز دون الآخرين ، وهم أعزة على الكافرين فيهم إباء واستعلاء . وهذه العزة ليست للذات ولا استعلاء للنفس ، إنما هي العزة للعقيدة ، وكذلك من أجل سماتهم الجهاد في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . وجهادهم لإقرار منهج الله في الأرض ، وإعلان سلطانه على البشر ، وتحكيم شريعته في الحياة لتحقيق الخير والصلاح والنماء للناس ، وذلك كله فضل الله يُعطى عن سعة ، ويُعطى عن علم ، وما أوسع هذا العطاء ؛ الذي يختار الله له من يشاء عن علم وعن تقدير .

ويحدد الله للذين آمنوا جهة الولاء الوحيدة له ولرسوله والمؤمنين والتي تتفق مع صفة الإيمان ، ويأتي النداء الثالث الذي يثير في نفوسهم الحمية لدينهم ولعبادتهم ولصلاتهم التي يتخذها أعداؤهم هزواً ولعباً ، ويسوى في النهي عن الموالاتة بين أهل الكتاب والكفار ، وينوط هذا النهي بتقوى الله ، ويعلق على الاستماع إليه صفة الإيمان .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن الفرق حادّ بين أن نوالى اليهود والنصارى وأن نحسن التعامل معهم ، فالموالاتة لهم منهى عنها ، وحسن التعامل مأمور به ، والولاء لا يكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين .

٢ - النفاق ظاهرة بشرية لا يخلو منها مجتمع للناس في أى عصر من العصور ، وهؤلاء المنافقون في قلوبهم مرض ، ومن كان قلبه مريضاً كان كل ما في حياته مريضاً ، لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله .

٣ - الولاء الحق هو ما كان لله ولرسوله وللمؤمنين ، وليس الولاء لأهل الكتاب أو الكفار أو المشركين ، بل ليس الولاء لأى مؤمن عامل بمقتضى الإيمان .

٤ - على المؤمن أن يتواضع للمؤمنين ويظهر العزة للكافرين ، ويقول الحق دائماً ولا يخاف في الله لومة لائم .

معاني الكلمات :

- تتقون : تكرهون أو تعيبون .
- فاسقون : خارجون عن الطريق المستقيم .
- أنبئكم : أخبركم . مثوبة عند الله : جزاء ثابته وعقوبة .
- لعنه الله : طرده الله من رحمته .
- عبد الطاغوت : أطاع الشيطان .
- سواء السبيل : الطريق المعتدل .
- السحت : المال الحرام .
- الربانيون : عبّاد اليهود .
- مغلولة : مقيدة من شدة البخل .
- غلت أيديهم : دعاء عليهم .
- مبسوطتان : إثبات الكرم والسخاء لله .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن ندرك أن تحدى الدعوة إلى الله طبيعة في النصارى واليهود .
- ٢ - أن ندرك أنه لا قعود عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من بطش حاكم ، أو تملقاً لأهل الباطل والهوى ، أو حرصاً على الدنيا .
- ٣ - بيان قبح سكوت العلماء على المنكر وإغصائهم على فاعليه .

المحتوى التربوي :

يبدأ السياق مصدراً حال أهل الكتاب وقد اتخذوا الصلاة - والنداء هزواً ولعباً ، فمنهم من كان يتخذ النداء أداة استخفاف بمحاكاة صوت المؤذن ، واللعب بتقليده تهكماً وتعابثاً ، زمنهم من اتخذ شكل الصلاة الإسلامية موضع وسخرية واستهزاء ، وهذا الذي كان منهم سببه أن أحلامهم قد سفهت ، وصاروا لا يدركون الأمور على وجهها ، فلا يكفرون في الأمور تفكير العقلاء الذين يتدبرون بعقولهم ، وقد قام لديهم البرهان العقلي والدليل على أن ما جاء به محمد لا يقبل الإنكار لمن يفكر بعقله .

و يتوجه الخطاب إلى الرسول ﷺ ؛ ليواجه أهل الكتاب ، فيسألهم : ماذا ينقمون من الجماعة المسلمة ؟ وهل ينقمون منها إلا الإيذان بالله ، وما أنزل إلى أهل الكتاب ؛ وما أنزله الله للمسلمين بعد أهل الكتاب ؟ هل ينقمون إلا أن المسلمين يؤمنون . وأنهم هم - أهل الكتاب - أكثرهم فاسقون ؟ وهى مواجهة مخجلة . ولكنها كذلك كاشفة وحاسمة ومعددة لأصل العداوة ومفرق الطريق .

يقول صاحب الظلال : « إن أهل الكتاب لم يكونوا ينقمون على المسلمين في عهد الرسول ﷺ ، وهم لا ينقمون اليوم على طلائع البعث الإسلامى - إلا أن هؤلاء المسلمين يؤمنون بالله ؛ وما أنزله الله إليهم من قرآن ؛ وما صدق عليه قرآنهم بما أنزله الله من قبل من كتب أهل الكتاب ، إنهم يعادون المسلمين لأنهم مسلمون ! لأنهم ليسوا يهوداً ولا نصارى ، ولأن أهل الكتاب فاسقون منحرفون عما أنزله الله إليهم ؛ وآية فسقهم وانحرافهم أنهم لا يؤمنون بالرسالة الأخيرة وهى مصدقة لما بين أيديهم - لا ما ابتدعوه وحرفوه - ولا يؤمنون بالرسول الأخير .

إنهم يحاربون المسلمين هذه الحرب الشعواء ؛ التى لم تضع أوزارها قط ، ولم نجب أوارها طوال ألف وأربعمائة عام ؛ منذ أن قام للمسلمين كيان فى المدينة ، وتميزت لهم شخصية ؛ وأصبح لهم وجود مستقل ؛ ناشئ من دينهم المستقل ، وتصورهم ونظامهم المستقل ، فى ظل منهج الله الفريد .

إنهم يشنون على المسلمين هذه الحرب المشبوبة ؛ لأنهم - بل قبل شئ - مسلمون لا يمكن أن يطفئوا هذه الحرب المشبوبة إلا أن يردوا المسلمين عن دينهم ، فيصبحوا غير مسلمين ؛ ذلك أن أهل الكتاب أكثرهم فاسقون ؛ ومن ثم لا يحبون المستقيمين الملتزمين من المسلمين ! .

ولقد علم الله - سبحانه - أن الخير لا بد أن يلقى النقمة من الشر ، وأن الحق لا بد أن يواجه العداء من الباطل ، وأن الاستقامة لا بد أن تثير غيظ الفساق ، وأن الالتزام لا بد أن يجرح حقد المنحرفين ، وعلم الله - سبحانه - أن لا بد للخير والحق والاستقامة والالتزام أن تدفع عن نفسها وأن تخوض المعركة الحتمية مع الشر والباطل والفسق والانحراف ، وأنها معركة لا خيار فيها ، ولا يملك الحق ألا يخوضها فى وجه الباطل ؛ لأن الباطل سيهاجمه ، ولا يملك الخير أن يتجنبها ؛ لأن الشر لا بد سيحاول سحقه .

ثم تمضى الآيات لمواجهة أهل الكتاب بعد تقرير بواعث نقمتهم على المسلمين واستنكار هذه البواعث فى النقمة على المسلمين ، فإذا هو يجهلهم بتاريخ قديم لهم ، وشأن لهم مع ربهم وعقاب أليم فلقد لعنهم الله ؛ وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، والله - سبحانه - يوجه رسوله ﷺ لمجابهة أهل الكتاب بهذا التاريخ ، وبذلك الجزاء الذى استحقوه من الله على هذا التاريخ .. كأنها هم جيل واحد بما أنهم جيلة واحدة يوجهه ليقول : إن هذا شر عاقبة.

ويمضى السياق فى التنفير من موالاتهم بعرض صفاتهم وسماتهم - بعد عرض تاريخهم وجزائهم - ويحيى التحذير والتوعية منهم بكشف ما يبيتون ، ويبرز اليهود كذلك فى الصورة؛ لأن الحديث عن وقائع جارية ومعظم الشر قادم من اليهود . ويخبر الله عز وجل رسوله ﷺ أنهم لكثرة ما يرتكبون من الذنوب ويفشون من المعاصى ترى كثيراً منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت علناً لا يستترون به ولا يخفونه ، فذمهم الله على ذلك ، وقبح فعلهم ، وأنكر على عبادهم وعلماهم سكوتهم عن جرائم عوامهم ورضاهم بها مصانعة لهم ومداينة .

ويخبر الله تعالى عن كفرهم وجرائمهم على الله تعالى بباطل القول وسوء العمل ، ولعنهم تعالى ولعن كل صالح فى الأرض والسماء بسبب قولهم الخبيث الفاسد وأكذبهم تعالى فى قولهم : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ فقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ثم أخبر تعالى رسوله بتدبيره فيهم انتقاماً منهم ، فقال عز وجل : ﴿ وَالْقِيَمَةُ أَلْبَنُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَقِصَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ أى أن العداوة بين اليهود والنصارى لا ولن تنتهى إلى يوم القيامة ، ثم أخبر عن اليهود أنهم ﴿ كَلِمًا أَوقِدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَافًا اللَّهُ ﴾ فلم يفلحوا فيما أرادوه ، وقد أذلهم الله على يد رسوله والمؤمنين وأخزاهم ، ومن دار الإيمان أجلاهم ، وأخبر تعالى أنهم يسعون دائماً وأبداً فى الأرض بالفساد ؛ فلذا أبغضهم الله وغضب عليهم ، لأنه تعالى لا يحب المفسدين .

وهذا الشر والفساد الذى تمثله وتثيره وتدبره يهود ، لابد أن يبعث الله عليه من يوقفه ويحطمه ، فالله لا يحب الفساد فى الأرض ؛ وما لا يحبه الله لابد أن يبعث عليه من عباده من يزيله ويعفى عليه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - ماضى اليهود وتاريخهم الأسود يقول أنهم أصل الشرور والفساد والكفر والإلحاد ، وتلك طبيعة فيهم ولا يرقبون فى مؤمن إلاّ ولا ذمة ، والاطمئنان إليهم غفلة وسذاجة وجهادهم فريضة على كل من آمن بالله ورسوله .

٢ - على الدعاة أن يارسوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفق ضوابطها الشرعية لأن ذلك هو الذى يقاوم الفساد والباطل ، ويشيع الحق والعدل والخير .

٣ - معاداة اليهود والنصارى للمسلمين أمر فطرى فيهم ، ولن يزول حتى تقوم الساعة فلا مهادنة ولا استسلام لهما ، ولكن يجب معهم حسن من المعاملة مع الحذر والإعداد .

٤ - على الأمة ألا تخشى فساد اليهود ومكائدهم فإن الله عز وجل لابد أن يبعث عليهم جيلاً قرآنياً فريداً يوقفهم ويحطمهم ، فإن الله لا يحب الفساد ، وما لا يحبه الله يزيله ويعفى عليه .

معاني الكلمات :

أمة مقتصدة : معتدلة وهم من أسلم منهم
يعصمك : يحميك . فلا تأس : فلا تحزن .

الذين هادوا : رجعوا إلى الله . الصابثون :
عبداء الكواكب . ميثاق : عهد .

بما تهوى أنفسهم : بما لا يحبون .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان أن من آمن بالله واليوم الآخر ،
وعمل صالحاً ، فإنه ينجو من عذاب الله ،
ولا يخاف ولا يحزن .

٢ - بيان أن العمل بطاعة الله - عز
وجل - سبب لسعة الرزق ، وأن الطاعات
مفتاح لجميع أنواع السعادات .



٣ - بيان صفات اليهود وسلوكهم المقيت مع الرسل ودعاة الحق .

المحتوى التربوي :

تطرح هذه الآيات القاعدة الإيمانية الكبرى - قاعدة أن إقامة دين الله في الأرض معناها
الصلاح والكسب في حياة المؤمنين في هذه الدنيا وفي الآخرة على السواء ، لا افتراق بين دين
ودنيا ، ولا افتراق بين دينا وآخرة ، فهو منهج واحد للدنيا والآخرة ، للدنيا والدين .

تأتى هذه القاعدة الإيمانية عقب الحديث عن انحراف أهل الكتاب عن دين الله ، وأكلهم
السحت ؛ وتحريفهم الكلم من بعد مواضعه لينالوا عرضاً من أعراض هذه الدنيا ، واتباع الدين
كان أجدى وأنفع لهم في الأرض والسماء في الدنيا والآخرة لو أنهم اختاروا طريق الهدى .

فالله - سبحانه وتعالى - يقول لأهل الكتاب - ويصدق القول وينطبق على كل أهل الكتاب -
إنهم لو كانوا آمنوا واتقوا لكفر عنهم سيئاتهم ، ولأدخلهم جنات النعيم - وهذا جزاء الآخرة .
وإنهم لو كانوا حققوا في حياتهم الدنيا ، منهج الله المتمثل في التوراة والإنجيل وما أنزل الله إليهم
من التعليم لصلحت حياتهم الدنيا ، ونمت وفاضت عليهم الأرزاق ، ولأكلوا من فوقهم ومن

تحت أرجلهم من فيض الرزق ، ولكنهم لا يؤمنون ولا يتقون ولا يقيمون منهج الله - إلا قلة منهم في تاريخهم الطويل مقتصدة غير مسرفة على نفسها ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

وتقضى الآيات في بيان حال أهل الكتاب ، من اليهود والنصارى - وكشف الانحراف فيما يعتقدون ، وكشف السوء فيما يصنعون ، وينادى الله - سبحانه - الرسول ﷺ وكلفه تبليغ ما أنزل إليه من ربه ، كل ما أنزل لا يستبقى منه شيئاً ، ولا يؤخر منه شيئاً مراعاة للظروف والملابسات ، أو تجنباً للاصطدام بأهواء الناس ، وواقع المجتمع ، وإن لم يفعل فما يكون قد بلغ .

وأن يعلن كذلك كفر اليهود بنقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء وعليه أن يبلغ ولا يجعل لأى اعتبار من الاعتبارات حساباً وهو يصدع بكلمة الحق . وإلا فما بلغ وما أدى وما قام بواجب الرسالة ، والله يتولى حمايته وعصمته من الناس ، ومن كان الله له عاصماً فماذا يملك له العباد المهازيل !

يقول صاحب الظلال : « إن كلمة الحق في العقيدة لا ينبغى أن تجمجم ! إنها يجب أن تبلغ كاملة فاصلة ؛ وليقل من شاء من المعارضين لها كيف شاء ؛ وليفعل من شاء من أعدائها ما يفعل ؛ فإن كلمة الحق في العقيدة لا تملق الأهواء ؛ ولا تراعى مواقع الرغبات ، إنما تراعى أن تصدع حتى تصل إلى القلوب في قوة وفي نفاذ .

وكلمة الحق في العقيدة حين تصدع تصل إلى مكان القلوب التى يكمن فيها الاستعداد للهدى ، وحين تجمجم لا تلين لها القلوب التى لا استعداد فيها للإيمان ؛ وهى القلوب التى قد يطمع صاحب الدعوة فى أن تستجيب له لو داهنها فى بعض الحقيقة ! »

وكذلك كلف الله رسوله ﷺ أن يواجههم - اليهود والنصارى - بأنهم ليسوا على شىء من الدين والعقيدة والإيمان ، بل ليسوا على شىء أصلاً يرتكن عليه !

وتقريراً لذلك يخبر الله نبيه بأن كثيراً من اليهود والنصارى يزيدهم ما يوحى الله تعالى إلى رسوله ، وما ينزل عليه في كتابه من أخبار أهل الكتاب مما هو بيان لذنوبهم وضلالهم ، يزيدهم ذلك طغياناً وكفراً وعلواً وعتواً فوق كفرهم ، ويأمر الله نبيه بالآيأس ولا يحزن على عدم إيمانهم به وبما جاء به ، لأنهم قوم كافرون .

ثم يقرر أن الذين آمنوا وهم المسلمون ، والذين هادوا وهم اليهود ، والصابئون وهم الفئة التى تركت عبادة الأوثان قبل بعثة النبى ﷺ ، وعبدت الله وحده على غير نحلة معينة والنصارى وهم أتباع المسيح ﷺ كل هؤلاء أياً كانت نحلتهن إن آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحاً فقد نجوا ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ولا عليهم مما كانوا فيه قبل ذلك ؛ ولا مما يحملون من أسماء وعنوانات فالهم هو العنوان الأخير وهو الإسلام لله رب العالمين .

وتأخذ الآيات بعد ذلك في عرض طرف من تاريخ بنى إسرائيل - اليهود - يتجلى كيف أنهم ليسوا على شيء ؛ فلقد مردوا على العصيان والإعراض ، ومردوا على النكول عن ميثاق الله ؛ ومردوا على اتخاذ هواهم إلههم لا دين الله ، ولا هدى الرسل ؛ ومردوا على الإثم والعدوان على دعاة الحق وحملة دعوة الله ، فليس موقفهم من رسول الإسلام ﷺ - بالأول ولا بالآخر !

يقول صاحب الظلال :

« ولعله من أجل ذلك قص الله تاريخ بنى إسرائيل على الأمة المسلمة في تفصيل وتطويل ، لعلها تتقن أن تكون كبنى إسرائيل ، ولعلها تحذر مزالق الطريق ، أو لعل الواعين منها الموصولين بالله يدركون هذه المزالق ؛ أو يتأسون بأنبياء بنى إسرائيل حين يصادفون ما صادفوا أجيالاً من ذراري المسلمين تنتهي إلى ما انتهى إليه بنو إسرائيل ، حين طال عليهم الأمد فقسست قلوبهم ، فتحكم الهوى ؛ وترفض الهدى، وتكذب فريقاً من الدعاة إلى الحق ، وتقتل فريقاً ، كما صنع بغاة بنى إسرائيل ، في تاريخهم الطويل ! » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - تبليغ دين الله لعباد الله واجب شرعى قام به النبى ﷺ ، ويجب أن يقوم به كل مسلم بعد النبى ﷺ لقوله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (يوسف : ١٠٨) .

٢ - أن من كنتم شيئاً من دين الله عن الناس وهو قادر على إبلاغه ، فكأنه كنتم الدين كله ، وقعد عن واجب أوجه الله تعالى عليه ﴿ يَتَأَيُّهَا الرُّسُولُ يَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ .

٣ - أن نتق في تأييد الله ونصره وحفظه لدعاته مهما تعرضوا للخطر مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وكما عصم الله نبيه ، سيعصم الدعوة إليه على حق من أعدائهم .

٤ - ليس على المسلمين إلا البلاغ ، وأما هداية الناس واستجابتهم للحق فإلى الله وحده ﴿ مَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ فقصر وظيفة النبى والدعاة على البلاغ لا الهداية .

٥ - إن الدنيا كلها إذا تحولت إلى كثرة ضالة وانكمشت القلة ، فأصبحت داعية واحداً ، فإن ذلك ما ينبغي أن يندفع من الحق ولا عن سنة الله في خلقه ، وفي صراع الباطل مع الحق ، فجولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة .

معاني الكلمات :

عموا وصموا : فعموا عن رؤية الحق ساعه . مأواه : مرجعه ومصيره .

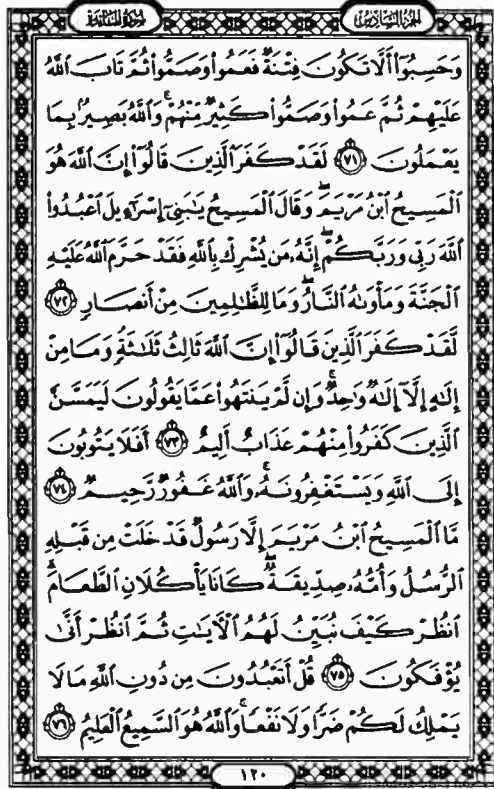
خلت : مضت . أمة صديقة : كثيرة الصدق مع الله . أنى يؤفكون : كيف يصرفون عن تدبر الدلائل البينة وقبولها .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - تبرئة المسيح عليه السلام وأمه مما نسب إليهما من أنها إلهان من دون الله .

٢ - بيان كفر القائلين بأن الله هو المسيح أو أنه ثالث ثلاثة .

٣ - بيان طبيعة اليهود والنصارى ؛ ليكون تعاملنا معهم على وفق ما جاء في التنزيل الحكيم .



المحتوى التربوي :

يواصل سياق هذه الآيات الحديث عن بنى إسرائيل الذين صنعوا كل الآثام ؛ وهم يحسبون أن الله لن يفتنهم بالبلاء ولن يأخذهم بالعقاب ؛ حسبوا هذا الحسبان غفلة منهم عن سنة الله ؛ وغرورا منهم بأنه شعب الله المختار فطمس الله على أبصارهم فلا يفقهون مما يرون شيئا ؛ وطمس على مسامعهم فلا يفيدون مما يسمعون شيئا ، ثم أدركهم الله برحمته ، فلم يعرفوا ولا يتفعلوا ﴿ تُمْ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾ والله مجازيهم بما يراه ويعلمه من أمرهم وما هم بمفكرين .

ذلك شأن اليهود من أهل الكتاب ، فأما شأن النصارى ، فلقد تحدثت عنهم الآيات قبل ذلك ، ووصفت الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم بالكفر ، وفي هذه الآيات يكرر هذا الوصف ، سواء لمن قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، ومن قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم مع ذكر شهادة عيسى عليه السلام عليهم بالكفر ، وتحذيره لهم من وصف أحد بالألوهية إلا الله - سبحانه - واعترافه بأن الله هو ربه وربهم على السواء ، ثم تحذير الله لهم في النهاية من المضى فيما هم عليه من الكفر .

وهكذا حذرهم المسيح عليه السلام فلم يحذروا ، ووقعوا بعد وفاته عنهم فيما حذرهم من الوقوع فيه ، وما أنذرهم عليه من الحرمان من الجنة والانتهاى إلى النار ، ونسوا قول المسيح عليه السلام ؛ حيث

أعلن لهم أنه وهم في العبودية سواء ، لربوبية الله الواحد الذى ليس له من شركاء ، ويستوفى القرآن الكريم الحكم على سائر مقولاتهم الكافرة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ ، ويقرر الحقيقة التى تقوم عليها كل عقيدة جاء بها رسول من عند الله ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾

ويهددهم عاقبة الكفر الذى ينطقون به ويعتقدونه ، ثم أردف التهديد والوعيد بالتحضيض والترغيب ، ليبقى لهم باب التوبة مفتوحاً ؛ وليطمعهم في مغفرته عز وجل قبل فوات الأوان .

ثم واجههم بالمنطق الواقعى القويم ، لعله يرد فطرتهم إلى الإدراك السليم ، مع التعجب من أمرهم في الانصراف عن هذا المنطق بعد البيان والإيضاح ، فأكل الطعام مسألة واقعية في حياة المسيح وأمه - أو على ناسوته بتعبيرهم اللاهوتى - فأكل الطعام تلبية لحاجة جسدية لا مرأى فيها ، ولا يكون إلهاً من يحتاج إلى الطعام ليعيش ، فالله حى بذاته ، قائم بذاته ، باق بذاته ، لا يحتاج ، ولا يدخل إلى ذاته - سبحانه - أو يخرج منها شيء حادث كالطعام .

ونظراً لوضوح هذا المنطق الواقعى ونصاعته التى لا يجادل فيها إنسان يعقل ، فإنه يعقب عليه باستنكار موقفهم والتعجب من انصرافهم عن ذلك المنطق البين ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ ؛ واستطراداً في ذلك المنطق القرآنى المبين من زاوية أخرى يأتى هذا الاستنكار : ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

يقول صاحب المنار : « أقام الله تعالى البرهان من حال المسيح وأمه على بطلان كونه إلها ، وبين ما يشاركان به أشرف البشر من المزية الخاصة ، وما يشاركان به سائر البشر من صفاتهم العامة ، وقضى على ذلك بالعجيب من بعد التفاوت ما بين قوة الآيات التى حججهم بها ، وشدة انصرافهم عنها ، ثم لقن نبيه حجة أخرى يوردها في سياق الإنكار عليهم وتبكيتهم على عبادة ما لا فائدة في عبادته : ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ .

ويقول صاحب الأساس : في هذه الآية : « أتعبدون عيسى ! وهو لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلاء والمصائب في الأنفس والأموال ، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب ، لأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع ، فبتخليقه تعالى فكأنه لا يملك منه شيئاً ، وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرراً ولا نفعاً ، وصفة الرب أن يكون قادراً على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أى : أتشركون بالله ولا تحشونه وهو الذى يسمع ما تقولونه ، ويعلم ما تعتقدونه » .

ويقول صاحب الظلال : « وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » الذى يسمع ويعلم ، ومن ثم يضر وينفع . كما أنه هو الذى يسمع دعاء عبده وعبادته إياه ، ويعلم ما تكنه صدورهم وما يكمن وراء الدعاء والعبادة . فأما ما سواه فلا يسمع ولا يعلم ولا يستجيب الدعاء .

حقائق هامة من السياق :

- الحقيقة الأولى : الاهتمام البالغ بتصحيح التصور الاعتقادى للمسلمين ، وإقامته على قاعدة التوحيد الكامل يدل على اعتبار الإسلام للعقيدة بوصفها القاعدة والمحور لكل نشاط إنسانى ، ولكل ارتباط إنسانى كذلك .

- الحقيقة الثانية : هى تصريح القرآن الكريم بكفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ؛ أو قالوا إن الله ثالث ثلاثة : فلم يعد لمسلم - بعد قول الله سبحانه - قول ، ولم يعد يحق لمسلم أن يعتبر أن هؤلاء على دين الله ، والله سبحانه يقول : إنهم كفروا بسبب هذه المقولات .

إذا كان الإسلام - كما قلنا - لا يكره أحدًا على ترك ما هو عليه مما يعتقده لاعتناق الإسلام ، فهو فى الوقت ذاته لا يسمى ما عليه غير المسلمين دينًا يرضاه الله ، بل يصرح هنا بأنه كفر ، ولن يكون الكفر دينًا يرضاه الله .

- الحقيقة الثالثة : المرتبة على هاتين الحقيقتين ، أنه لا يمكن قيام ولاء وتناصر بين أحد من أهل الكتاب هؤلاء ، وبين المسلم الذى يدين بوحداية الله كما جاء بها الإسلام .

ومن ثم يصبح الكلام عن التناصر بين أهل « الأديان » أمام الإلحاد كلامًا لا مفهوم له فى اعتبار الإسلام .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

- ١ - تقرير كفر النصارى بقولهم المسيح هو الله ، ويقولهم : إن الله ثالث ثلاثة .
- ٢ - تقرير وتأكيده عبودية عيسى وأمه - عليهما السلام - لله رب العالمين .
- ٣ - تحريم الجنة على من لقى ربه ، وهو يشرك به شيئاً .
- ٤ - تقرير بشرية عيسى ومريم - عليهما السلام - بدليل احتياجهما إلى الطعام لقوام بنيتهما ، ومن كان مفتقرًا لا تصح ألوهيته عقلاً وشرعاً .
- ٥ - ذم كل من يعبد غير الله إذ كل الخلائق مفتقرة لا تملك لنفسها ولا لعبادها ضرًا ولا نفعاً ، ولا تسمع دعاء من يدعوها ، ولا تعلم عن حاله شيئاً ، والله وحده السميع لأقوال كل عباده ، العليم بسائر أحوالهم وأعمالهم ، فهو المعبود بحق وما عداه باطل .

معاني الكلمات :

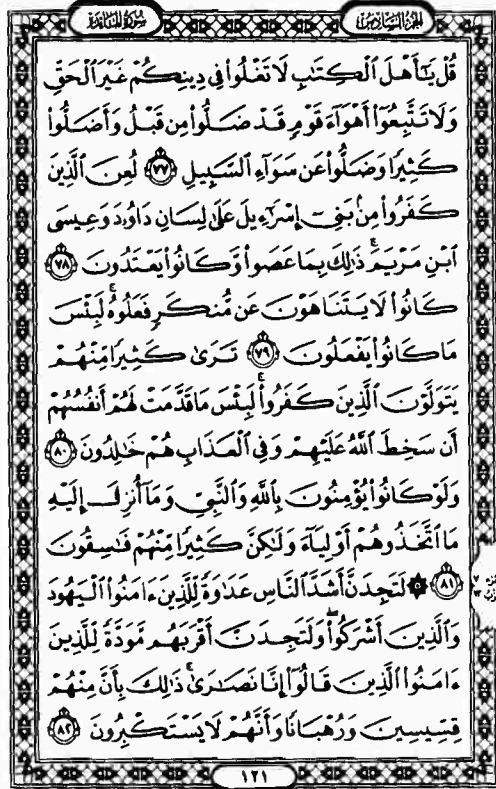
لا تغلوا : لا تجاوزوا الحد . غير الحق : غلوا باطلاً . لعن : أبعد عن رحمة الله .

يعتدون : يتجاوزون الحد . لا يتناهون : لا ينهى بعضهم بعضاً . يتولون الذين كفروا : يتخذوهم أنصاراً . قسيسين : خطباؤهم وعلمائهم . رهبانا : جمع راهب وهو العابد .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان أهمية التوسط في الدين ، فالإسلام دين الوسطية السمحة فلا مغالاة ولا تعسف ولا عسر في دين الله عز وجل .

٢ - بيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي الظالمين



لنجاة المجتمع من الهلاك .

٣ - بيان حقيقة موقف اليهود والنصارى والذين أشركوا من الإسلام والمسلمين .

المحتوى التربوي :

يكلف الله نبيه في هذه الآيات أن يوجه إلى أهل الكتاب دعوة جامعة ألا يغلوا في دينهم غير الحق ، ولا يتبعوا أهواء الذين ضلوا - فمن الغلو في تعظيم عيسى عليه السلام جاءت كل الانحرافات ، ومن أهواء المجامع المتناحرة دخلت مقولات الكفر على دين الله الذي أرسل به المسيح .

قال الإمام الرازي : « إنه تعالى وصفهم بثلاث درجات في الضلال : فبين أنهم كانوا ضالين من قبل ، ثم ذكر أنهم كانوا مضلين لغيرهم ، ثم ذكر أنهم استمروا على تلك الحالة حتى إنهم الآن ضالون كما كانوا ، ولا نجد حالة أقرب إلى البعد من الله والقرب من عقاب الله تعالى من هذه الحالة ، ويحتمل أن يكون المراد أنهم ضلوا وأضلوا ثم ضلوا بسبب اعتقادهم في ذلك الإضلال أنه إرشاد إلى الحق ، ويحتمل أن يكون المراد بالضلال الأول الضلال عن الدين ، وبالضلال الثاني الضلال عن طريق الجنة » .

وهذا النداء هو دعوة الإنقاذ الأخيرة لأهل الكتاب، ليخرجوا من هذا الغلو وهذه الأهواء، ثم يحى ذلك التقرير الشامل عن موقف أنبياء بنى إسرائيل من كفار بنى إسرائيل على مدى التاريخ ، على لسان أنبيائهم ، فلقد لعنوا كفار بنى إسرائيل ، واستجاب الله لهم ، بسبب

عصيانهم وعدوانهم ، وسكوتهم على المنكر يتشر فيهم فلا يتناهون عنه ، وبسبب توليهم الكافرين ؛ فباؤوا بالسخط واللعة ، وكتب عليهم الخلود في العذاب .

يقول القاسمي : « دلت الآية على المنع من الذرائع التي تبطل مقاصد الشرع ؛ كما رواه أكثر المفسرين أن الذين لعنهم داود عليه السلام أهل أيلة الذين اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه .. وتدل أن ترك النهي من الكبائر » .

وهكذا يبدو أن تاريخ بنى إسرائيل في الكفر والمعصية واللعة عريق . وأن أنبياءهم الذين أرسلوا لهدايتهم وإنقاذهم ، وهم في النهاية الذين تولوا لعنتهم وطردهم من هداية الله فسمع الله دعاءهم وكتب السخط واللعة على بنى إسرائيل .

والمعصية والاعتداء الذي حفل بهما تاريخ بنى إسرائيل لم تكن أعمالاً فردية ، ولكنها انتهت إلى أن تصبح طابع الجماعة كلها ؛ وأن يسكت عنها المجتمع ، ولا يقابلها بالتأني والنكير : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

فيجعل عقوبة الجماعة عامة بما يقع فيها من شر إذا هي سكنت عليه ؛ ويجعل الأمانة في عنق كل فرد ، بعد أن يضعها في عنق الجماعة عامة . روى أبو داود - بإسناده - عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل ، فيقول : يا هذا اتق الله ، ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك . ثم يلقيه من الغد ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض » ثم قال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ فَسُقُوتَ ﴾ ، ثم قال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً - أو تقصرنه عن الحق قصراً » .

فليس هو مجرد الأمر والنهي ، ثم تنتهي المسألة ، إنما هو الإصرار ، والمقاطعة ، والكف بالقوة عن الشر والفساد والمعصية والاعتداء ، ولابد من الأمر بالمعروف الأكبر وهو الاعتراف بسلطان الله ومنهجه للحياة ، والنهي عن المنكر الأكبر وهو رفض ألوهية الله برفض شريعته للحياة ، وبعد إقامة الأساس يمكن أن يقام البنيان ! فلتوفر الجهود المبعثرة إذن ، ولتحشد كلها في جبهة واحدة ، لإقامة الأساس الذي عليه وحده يقام البنيان !

ثم يمضي السياق في الحديث عن بنى إسرائيل ، وهو نهاية هذا الجزء . فيصف حالهم على عهد رسول الله ﷺ وهي حالهم في كل زمان وكل مكان ، فهم يتولون الذين كفروا ويتناصرون معهم ضد الجماعة المسلمة ، فلقد كان اليهود هم الذين يتولون المشركين ؛ ويؤلبونهم على المسلمين ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » .

وقد تجلّى هذا كله على أتمه في غزوة الأحزاب ، ومن قبلها ومن بعدها كذلك ، إلى اللحظة الحاضرة ، وما قامت إسرائيل في أرض فلسطين أخيراً إلا بالولاء والتعاون مع الكافرين الجدد من الماديين الملحديين !

فسخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ويذكر الله الدافع لفعالهم هذا ، لأنهم لم يؤمنوا بالله والنبي وما أنزل إليه ، إن كثرتهم فاسقة ، فهم يتجانسون مع الذين كفروا في الشعور والوجهة . فلا جرم يتولون الذين كفروا ولا يتولون المؤمنين .

هنا انتهى الجزء السادس ، ويبدأ الجزء السابع بالحديث عن اليهود والنصارى والمشركين وموافقهم من الرسول ﷺ ، ومن الأمة المسلمة وهى طرفٌ من الحديث الذى تضمنته السورة من قبل خلال أكثر من « ربعين » ، حيث تناولت الحديث عن فساد عقيدة اليهود والنصارى معاً ، وسوء طوية اليهود وسوء فعلهم ، سواء مع أنبيائهم من قبل أو مع ﷺ ونصرة المشركين عليه ، كما تناولت الحكم على عقيدة اليهود والنصارى التى انتهوا إليها بأنها « الكفر » لتركهم ما جاء في كتبهم وتكذيبهم بما جاءهم به رسول الله ﷺ .

ويتواصل السياق مستكملاً الحديث عن اليهود والنصارى الذى سبق الحديث عنه آنفاً ، وهنا يقرر عداة اليهود لدولة الإسلام منذ نشأتها ، والكيد لها ، فلقد شنوا حرباً مريرة من العداة المقيتة والمكائيد للإسلام في تاريخه الطويل ولم تهدأ ولم تحب لحظة واحدة ، وما تزال حتى اللحظة يستعمر أوارها في أرجاء المعمورة .

وهذه الآيات - كما يقول صاحب الظلال : « تصور حالة ، وتقرر حكماً في هذه الحالة . تصور حال فريق من اتباع عيسى عليه السلام : « الذين قالوا : إنا نصارى » وتقرر أنهم أقرب مودة للذين آمنوا ، وهى حالة معينة لفئة من الناس يعرفون حقيقة دين النصارى فلا يستكبرون على الحق حين يتبين لهم » .

ولكن السياق القرآنى لا يقف عند هذا الحد ، ولا يدع الأمر مجهلاً ومعمماً على كل من قالوا : إنا نصارى ، وإنما هو يفضي فيصور موقف هذه الفئة التى يعينها ، وهو ما سنعرفه فيما سيلي من الآيات .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - عدم المغالاة والتشدد والإفراط في الدين بالباطل ، وضرورة الالتزام بالحق والصواب . وتبصير المغالين في الدين بحقيقة الدين وجوهره ، وطبيعة الدين ووسطيته .

٢ - من المنكرات التى تعرض الأمم لعقاب الله - تعالى - وعذابه عدم نهى بعضهم بعضاً عن المنكر حتى يتفشى في المجتمع ، ويتجاهر الناس بالمعاصي ، فيقع العقاب على الجميع .

٣ - على المؤمنين في كل زمان ومكان أن يأخذوا كل الحذر من صفين من الناس ولا يأمنوا لهم جانباً ، ولا يصدقوا لهم قولاً أو عهداً وهذان الصنفان هما اليهود والذين أشركوا .

٤ - أقرب الناس مودة للذين آمنوا هم النصارى الذين عرفوا حقيقة دين النصارى واتبعوا المسيح حق الاتباع وآمنوا برسول الله ﷺ لما عرفوا من الحق ، وليس أصحاب بدعة التثليث ، ولا الذين يقولون : إن الله هو المسيح ولا الذين يقولون إن الله ثالث ثلاثة .

معانى الكلمات :

تفويض من الدمع : تملئ أعينهم بالدمع
فنصبه . باللغو في أيانكم : هو أن يحلف
على الشيء معتقداً صدقه والأمر بخلاف
ذلك . عقدتم الأيمان : قصدتم به الحلف
ووثقتم ذلك بالقصد والنية . أوسط :
أعدل وأمثل . تحرير رقة: عتق عبد أو أمة .
احفظوا أيانكم : لا تتركوها بغير تكفير .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان حرمة تحريم ما أباح الله
كحرمة تحليل ما حرم الله عز وجل .
- ٢ - بيان مدى حرص الصحابة على
طاعة الله خوفاً من عقابه وطمعاً في إنعامه .
- ٣ - بيان كفارة اليمين بالتفصيل .

وَاِذَا سَمِعُوا مَا اُنْزِلَ اِلَى الرَّسُولِ رَجَعُوْا اَعْيُنُهُمْ فَيَكْنُتُوْنَ
 الَّذِيْ يَمْنَعُهُمْ فَاُولَٰئِكَ مَنَعَ عَنْهُمُ الرَّسُوْلُ اَنْ يَّجِيْبُوْهُ سَاعَ
 الشَّهَادَةِ ۖ وَمَا لَنَا لَا نُوْمِنُ بِاللّٰهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ
 وَنَطْمَعُ اَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصّٰلِحِيْنَ ﴿١٢٧﴾ فَانْتَهُمُ
 اللّٰهُ يَمَّا قَالُوْا اجْنَبْ جَنَّةَ عَجْرٍ مِّنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا
 وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿١٢٨﴾ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا كَذَّبُوْا
 بِآيَاتِنَا اَوَّلَٰئِكَ اَصْحَابُ الْجَحِيْمِ ﴿١٢٩﴾ يَتَابَعُوْنَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا
 لَا خَيْرَ لِّمُطَاقِبِيْكَ مَا اَمَّلَ اللّٰهُ لَكُمْ وَلَا تُمْسِدُوْا اَنْ اللّٰهُ
 لَا يُحِبُّ الْمُتَعِدِّيْنَ ﴿١٣٠﴾ وَكَلَّوْا بِمَا رَزَقَكُمْ اللّٰهُ خَلَاطٍ سَبِيْاً
 وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيْ اَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُوْنَ ﴿١٣١﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ
 بِاللَّغْوِ اِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْاَيْمَانَ
 فَكَفَرْتُمْ بِهِ فَاُولَٰئِكَ عَسِرَ عَلٰى مَسْكُوْنٍ مِّنْ اَوْسَطِ مَا تُطِيعُوْنَ
 اٰمِلِيْكُمْ اَوْ كَسُوْهُنَّ اَوْ خَرِبُوْا رِقَبَةً فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
 ثَلَاثَةِ اَيَّامٍ ذٰلِكَ كَفَرَةُ اَيْمَانِكُمْ اِذَا حَلَفْتُمْ وَاَحْفَظُوْا
 اَيْمَانَكُمْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ﴿١٣٢﴾

المحتوى التربوي :

إن هذه الآيات تصور حالة فريق من أتباع عيسى عليه السلام : ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ . .
وتقرر أنهم أقرب مودة للذين آمنوا ، ويرسم المشهد القرآني وصفاً لهم ، إنهم إذا سمعوا ما أنزل
إلى الرسول من هذا القرآن اهتزت مشاعرهم ، ولانت قلوبهم ، وفاضت أعينهم بالدمع تعبيراً
عن الأثر والتأثر العميق العنيف بالحق الذي سمعوه . والذي لا يجدون له في أول الأمر كفاء من
التعبير إلا الدمع الغزير . ثم هم لا يكتفون بهذا الفيض من الدمع ؛ ولا يقفون موقفاً سلبياً من
الحق الذي تأثروا به هذا التأثير عند سماع القرآن ، والشعور بالحق الذي يحمله والإحساس بما له
من سلطان ! إنما هم يتقدمون ليتخذوا من هذا الحق موقفاً إيجابياً صريحاً ، موقف القبول لهذا
الحق ، والإيمان به ، والإذعان لسلطانه ، وإعلان هذا الإيمان وهذا الإذعان في لهجة قوية عميقة
صريحة .

فيعلنون لربهم إيمانهم بهذا الحق الذي عرفوه ثم يدعونه - سبحانه - أن يضمهم إلى قائمة الشاهدين لهذا الحق ، وأن يسلكهم في سلك أمة الإسلام القائمة عليه في الأرض ، ليس هذا فحسب بل يتضح الطريق أمامهم ، بحيث لا يعودون يرون أنه يجوز لهم أن يمشوا إلا في طريق واحد ؛ هو طريق الإيمان بالله ، وبالحق الذي أنزله على رسوله ، والأمل - بعد ذلك - في القبول عنده والرضوان .

ولقد علم الله صدق قلوبهم وألستهم ؛ وصدق عزيمةهم على المضى في الطريق ؛ وصدق تصميمهم على أداء الشهادة لهذا الدين الجديد الذى دخلوا فيه ، لقد علم الله منهم هذا كله ؛ فقبل منهم قلوبهم ، وكتب لهم الجنة جزاء لهم ؛ وشهد لهم - سبحانه بأنهم محسنون ، وأنه يجزيهم جزاء المحسنين .

ولا يقف السياق عند هذا الحد في تحديد ملامح هذا الفريق المقصود من الناس الذين تجدهم أقرب مودة للذين آمنوا . بل إنه ليمضى فيميزه من الفريق الآخر من الذين قالوا : إنا نصارى ممن يسمعون هذا الحق فيكفرون به ويكذبون ، ولا يستجيبون له ، ولا ينضمون إلى صفوف الشاهدين .

وينتقل السياق ليتناول قضية الألوهية التى من مقتضاها التشريع ، فيقول عز وجل : يا أيها الذين آمنوا ، إن مقتضى إيمانكم ألا تزاولوا أنتم - وأنتم بشر عبيد لله - خصائص الألوهية التى يتفرد بها الله ، فليس لكم أن تحرموا ما أحل الله من الطيبات ؛ وليس لكم أن تمتنعوا - على وجه التحريم - عن الأكل مما رزقكم الله حلالاً طيباً ، فالله هو الذى رزقكم بهذا الحلال الطيب ، والذى يملك أن يقول : هذا حلال وهذا حرام .

أخرج الترمذى - بإسناده - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال : إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء ، وأخذتني شهوتي ، فحرمت على اللحم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ الآية .

ثم واجه الله هذه الحالة - وأمثالها - من الحلف على الامتناع عن المباح الذى آلى أولئك النفر عن أنفسهم أن يمتنعوا عنه ، فردهم رسول الله ﷺ عن الامتناع عنه ، وردهم القرآن الكريم عن مزاوله التحريم والتحليل بأنفسهم ، فهذا ليس لهم إنما هو لله الذى آمنوا به .

وقال ابن عباس في نزول قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ الآية ، سبب نزولها : القوم الذين حرموا طيبات المطاعم والملابس والمناكح على أنفسهم حلفوا على ذلك ، فلما نزلت ﴿ لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ قالوا : كيف نصنع بأيماننا « فنزلت هذه الآية » .

وقد تضمن الحكم أن الله - سبحانه - لا يؤاخذ المسلمين بأيمان اللغو ، التى ينطق بها اللسان دون أن يعقد لها القلب بالنية والقصد مع الحض على عدم ابتذال الأيمان بالإكثار من اللغو بها إذ إنه ينبغي أن تكون لليمين بالله حرمتها ووقارها ، فلا تنطق هكذا لغواً ، فأما اليمين المعقودة ، التى وراءها قصد ونية ، فإن الحنث بها يقتضى الكفارة .

والكفارة هنا هى إطعام عشرة مساكين من أوسط الطعام الذى يقوم به الخالف لأهله أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ وهى الكفارة التى يُعاد إليها اليمين المعقودة عند عدم استطاعة الكفارات الأخرى ، والكفارة رد لاعتبار العقد المنقوض ، وحفظ للأيمان من الاستهانة بها ؛ وهى عقود ، وقد أمر الله - سبحانه - بالوفاء بالعقد . فإذا عقد الإنسان يمينه وكان هناك ما هو أبرّ فعل الأبر وكفر عن اليمين وإذا عقدها على غير ما هو من حقه كالتحريم والتحليل ، نقضها وعليه التكفير .

يقول صاحب الظلال : « ما أحله فهو الطيب ، وما حرمه فهو الخبيث وأن ليس للإنسان أن يختار لنفسه غير ما اختاره الله له من وجهين :

الوجه الأول : إن التحريم والتحليل من خصائص الله الرازق بما يجري فيه التحليل والتحريم من الرزق ، وإلا فهو الاعتداء الذي لا يحبه الله ، ولا يستقيم معه إيمان ..

والوجه الثانى : إن الله يحل الطيبات فلا يحرم أحد على نفسه تلك الطيبات التى بها صلاحه وصلاح الحياة ، فإن بصره بنفسه وبالحياة لن يبلغ علم الحكيم الخير الذى أحل هذه الطيبات ولو كان الله يعلم فيها شرًّا أو أذىً لوفاه عباده . ولو كان فى الحرمان منها خيرًا ما جعلها حلالًا . ولقد جاء هذا الدين ليحقق الخير والصلاح ، والتوازن المطلق ، والتناسق الكامل ، بين طاقات الحياة البشرية جميعًا ، فهو لا يغفل حاجة من حاجات الفطرة البشرية ، ولا يكبت طاقة بناءة من طاقات الإنسان تعمل عملاً سويًا ، ولا تخرج عن الجادة . ومن ثم حارب الرهبانية ، لأنها كبت للفطرة ، وتعطيل للطاقة وتعويق لها عن إنهاء الحياة التى أراد الله لها النماء » .

وبين السياق للذين يحرمون على أنفسهم ما أحله الله تعالى ، ويتخذون الأيمان ذريعة لذلك ، فيحلفون ألا يأكلوا أو ألا يأتوا النساء ، أو أن يقوموا الليل ويحرموا أنفسهم من متعة النوم وهكذا ، فيبين الله تعالى تحلة هذه الأيمان ، وأنه يجب عليهم أو يسوغ لهم الحنث فى الأيمان ، ولنغو اليمين الذى لا مؤاخذه عليه بنص القرآن ، هو ما لا يقصد به اليمين ، وما لا تكسبه القلوب ، ولا يوثق به الكلام بالامتناع عن الفعل أو توكيد إيقاع الفعل فى المستقبل لا مؤاخذه عليه ، إنما المؤاخذه على ما تكسبه القلوب إذ حنث فى يمينه فعدل عما اعتزم عليه ، كمن يعدل على تحريم ما أحل الله .

وقد خير الحالف إذا حنث بين الأمور ثلاثة الإطعام لعشرة مساكين ، أو كسوتهم ، يختار إحداها ، وهو سيختار الأيسر عليه اقتداء بالنبي ﷺ ، فإذا لم يجد انتقل إلى الصوم ، وهذا ما حى إثم اليمين وقد شرعه الله لكم رجاء أن تشكروه إذا خفف عليكم وسهل لكم فعل الخير ، وحفظ الأيمان بتحقيق بألا يكثروا منها ، وألا يمتنع عن الخير بالحلف .

ما ترشدنا إليه الآيات ترويًا :

١ - أن المسلم مطالب بالالتزام بما أحل وما حرم ، وبالتوازن فى التعامل مع ما أحل الله وما حرم ، فليس من التقوى ولا من الصلاح أن يضيق إنسان على نفسه فيحرم عليها التمتع بطيبات ما أحل الله ، لأن التحليل والتحريم من عمل الله سبحانه وتعالى ؛ لعلمه ما يصلح الإنسان وما قد يفسده فى حاضره أو مستقبله .

٢ - استحباب حنث من حلف على ترك مندوب أو فعل مكروه ، وتكفيره على ذلك ، أما إذا حلف أن يترك واجبًا أو يأتى محرماً فإن حنثه وجب وعليه الكفارة .

٣ - من رحمة الله بالناس أن جاءت الشريعة الإسلامية بالتسامح فى الأقوال والأعمال من غير تقصير أورفعت عن الإنسان المؤاخذه والخرج إلا أن يكون قد تعمد التقصير : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ .

معاني الكلمات :

الخمر : كل شراب مسكر .

الميسر : القمار . الأنصاب : حجارة كانت حول الكعبة يعظمونها ويتقربون إليها . الأزلام : قداح كانوا يستخدمونها للتفاؤل والتشاؤم .

رجس : خبيث وقذر . جُناح : إثم وخرج .

أنتم حُرْم : محرمون بحج أو عمرة .

النعم : الإبل والبقر والضأن والمعز .

بالغ الكعبة : واصل الحرم فيذبح به .

عدل ذلك : معادل الطعام وقابله .

وبال أمره : سوء عاقبة ذنبه وثقل فعله .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان علة تحريم شرب الخمر ولعب الميسر وهي إثارة العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

٢ - وجوب طاعة الله والرسول والحذر من معصيتهما .

٣ - وجوب التقوى حتى الموت ووجوب الإحسان في المعتقد والقول والعمل .

المحتوى التربوي :

في سياق التشريع بالتحريم والتحليل يحجى النص القاطع الأخير في تحريم الخمر والميسر مقرونين إلى تحريم الأنصاب والأزلام . أى إلى الشرك بالله ؛ فشرب الخمر ، واللعب بالقمار ، والتماثيل المنصوبة من أجل عبادة غير الله ، أو لذبح القرابين وتقديم الذور عندها باسم أحد غير الله تعالى ، والاستقسام بالأزلام - بمعنى التفاؤل والتشاؤم وضرب القرعة التى تشمل على طلب المعونة من غير الله - كل ذلك أعمال شيطانية ؛ ذلك لأنها تؤدى إلى التدنى والانحدار عن المستوى العقلى والسلوكى .

فالخمر تقضى بدورها على ما يوجد في نفس المرء من أحاسيس إنسانية لطيفة ، وأما القمار فقاتل لروح الإيثار والتعاون ، وهكذا الأنصاب والأزلام فهي من جملة أشياء تقوم إما على عواطف سطحية ، وإما على أوهام وأساطير خرافية !!

إن الإسلام يريد الإنسان ذاكرة لله وعابداً له تعالى وحده ، وأن يلزم نفسه بطاعة الله وطاعة رسوله ، وهذه أمور لا بد للقيام بها من أن يكون المرء من الجدية بمكان ؛ على حين أن أول ما نقضى عليه الأشياء السالفة الذكر هو الجدية بعينها !

ولما نزلت هذه الآيات قال بعض المشككين الذين يهدفون إلى البلبلة والحيرة ، هذا القول أو ما يشبهه ؛ يريدون أن ينشروا في النفوس قلة الثقة في أسباب التشريع ، أو الشعور بضياح إيمان من ماتوا والخمر لم تحرم ؛ وهى رجس من عمل الشيطان ، ماتوا والرجس في بطونهم ! فنزل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا ﴾ الآية . نزلت لتقرر أولاً أن ما لم يحرم لا يحرم ؛ وأن التحريم يبدأ من النص لا قبله ؛ وأنه لا يحرم بأثر رجعى ؛ فلا عقوبة إلا بنص ؛ سواء في الدنيا أو في الآخرة . لأن النص هو الذى ينشئ الحكم .. والذين ماتوا والخمر في بطونهم ، وهى لم تحرم بعد ، ليس عليهم جناح ؛ فإنهم لم يتناولوا محرماً ، ولم يرتكبوا معصية . لقد كانوا يخافون الله ويعملون الصالحات ويراقبون الله ، ويعلمون أنه مطلع على نواياهم وأعمالهم ، ومن كانت هذه حاله لا يتناول محرماً ولا يرتكب معصية .

قال ابن جرير الطبري معلقاً على قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا ﴾ الآية : « الاتقاء الأول هو الاتقاء بتلقى أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل ، والاتقاء الثانى الاتقاء بالثبات على التصديق ، والثالث الاتقاء بالإحسان والتقرب بالنوافل .

ثم يمضى السياق في مجال التحريم والتحليل ، يتحدث عن الصيد في حالة الإحرام ، وكفارة قتله ، وعن حكمة الله في تحريم البيت والأشهر الحرم والهدى والقلائد ، التى نهى عن المساس بها في مطالع السورة وكان هذا النهى عن إحلال الصيد وهم حرم ؛ وعن إحلال شعائر الله ، أو الشهر الحرام أو الهدى والقلائد ، أو قاصدى البيت الحرام ، لا يرتب عقوبة في الدنيا على المخالف ، إنما يلحقه الإثم ، فالآن يبين العقوبة وهى الكفارة ﴿ لَيَذُوقَنَّ وَأَمْرَهُ ﴾ ويعلم العفو عما سلف من إحلال هذه المحارم ؛ ويهدد بانتقام الله ممن يعود بعد هذا البيان .

ويقول صاحب التذكير القويم ^(١) : « ومن أركان الحج والعمرة أن يرتدى الحاج أو المعتمر ملابس الإحرام الخاصة عند حدود الميقات المقررة ، قبل التوجه إلى الكعبة ، وفى أثناء رحلته نحو الكعبة كثيراً ما يشاهد المحرم حيوانات البر والطيور وهى تقع فى متناول يده ، ويكون

اقتناصها في غاية السهولة ، غير أن اقتناصها ، سواء أقام به المرء بنفسه أم ساعد غيره عليه ، كلاهما محظور ومحرم في حالة الإحرام ، وقد نزلت هذه الآيات - كما جاء في الروايات - خلال مسيرة الحديبية ، إذا كان المسلمون محرمين بقصده العمرة ، وكانت أسراب الطيور والحيوانات البرية إذ ذاك تمر من أمامهم ، فكان من السهولة اقتناصها بالسهم أو طعنها بالرمح ، وكان المسلمون يطعمون - في ذلك الوقت - في الاصطياد بحكم عادتهم وضرورتهم معاً ، ولكن حين نزل الحكم الإلهي بالتحريم ، أمسك الجميع أيديهم عن ذلك ، وهذا الحكم الذي ورد بشأن معاملة الحيوانات في حالة الإحرام مطلوب عند التعامل مع الناس في الحياة اليومية ، والمقصد الأصلي من هذا الحكم هو : (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ، فقد وضع الله الإنسان في هذه الدنيا ، وارتفع بذاته المقدسة عن مواقع أبصاره ؛ ذلك لكي يختبر الناس ، فيتميز منهم البصير العارف بالحقيقة الذي يعيش في الدنيا كما لو كان يرى الله تعالى متجلياً أمامه بكل قدرته وجلاله وجبروته ، عن الغافل المستهتر منهم ، الذي يخلو قلبه من خوف الله ؛ لأنه لا يراه بعينه ، فيقضى حياته تبعاً لأهوائه ونزواته ، وهذا الاختبار الذي يجري في رحلة الحج لبضعة أيام مع اهتمامات بالمعاملات والعلاقات الإنسانية المتبادلة كل يوم ، فقد يصادف أحد الناس بعض خصومه في موطن يتمكن فيه من أن يسطو به ويجهز عليه ، أو يلحق به خسارة مالية فادحة ، أو يهتك ستره ويشوه سمعته ، إلخ ، ففي مثل هذا الموطن ينقسم الناس إلى نوعين : نوع يشعر بمخافة الله ، فلا يستخدم يده ولسانه ضد خصمه رغم تمكنه منه وتنام قدرته عليه ، والنوع الآخر الذي حين تسنح له فرصة التغلب على أحد يوماً يهينه ، ويتخذ منه عرضة أو ضحية لقهره واضطهاده ، وقد أثبت أول هذين أنه يخاف الله بالغيب ، بينما الآخر أثبت عكس ذلك تماماً ، وإن للأول عند الله نعماً كثيرة لا تحصى ، وإن للأخير عذاباً أليماً لا يُطاق !

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - روى الإمام أحمد بسنده عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة ، إن مات ، مات كافراً وإن تاب تاب الله عليه - وإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال » قالت : فقلت : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : « صديد أهل النار » .

٢ - المؤمن معرّض دائماً لأن يختبره ربه بالنعم كما يختبره بالنقم ليعلم الله - وهو بكل شيء عليم - من يخافه بالغيب ، حيث لا رقيب على المسلم إلا نفسه ، ومدى مراقبته لله رب العالمين .

٣ - على المؤمن أن يتقى الله في كل شيء ، ويجتهد في الوصول لمرتبة الإحسان في المعتقد شديد العقاب . لمن أصر على المعصية ، ولا يظلم ربك أحداً .

٤ - الله سبحانه وتعالى - غفور رحيم لمن زلت قدمه ، فتاب وأناب ، وأنه - سبحانه وتعالى - شديد العقاب ، لمن أصر على المعصية ، ولا يظلم ربك أحداً .

معانى الكلمات :

للسيارة : المسافرين . قياماً للناس :
انتعاشاً لهم وقواماً لصالحهم

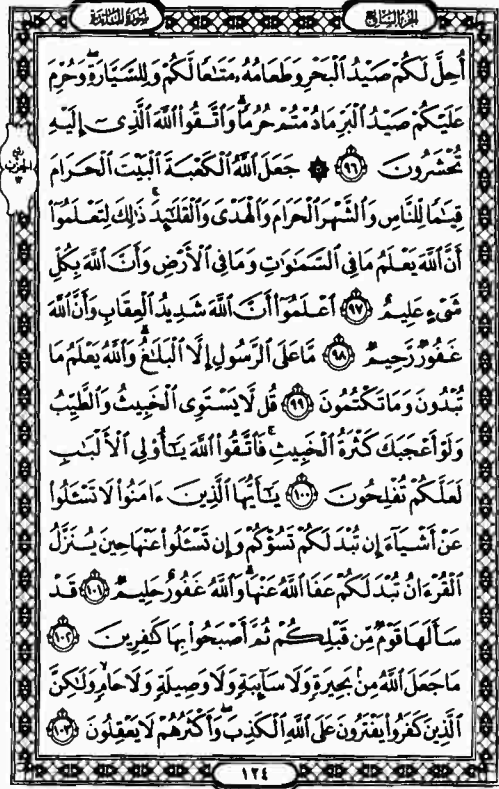
القلائد : ما يوضع علامة للهدى في عنقه .
بحيرة : الناقة تشق أذنبا وترك
للمعبودات فلا تترك سائبة : الناقة
تسبب للأصنام لتشفى من مرض .

وصيلة : الناقة تترك للأصنام إذا كان أول
ولادتها أنثى . حام : الفحل لا يركب
يحمل عليه إذ لقح ولد ولده .

الأهداف الإجرائية والسلوكية

١ - بيان عظيم تدبير الله تعالى لخلقه ،
إذ جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً .

٢ - بيان مسؤولية الرسول ﷺ إزاء



الناس ، وأنها بلاغ لا غير ، وأنه قد أدى الرسالة ، وبلغ الأمانة ﷺ .

٣ - بيان أهمية الأمر بالتقوى رجاء فلاح المتقين .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق مواصلاً بيان المحرمات ، وما أحل من الصيد ، فصيد البحر حلال في الحل والإحرام ، فحيوان البحر حلال صيده وحلال أكله للمحرم ولغير المحرم سواء ، ولما ذكر حل صيد البحر وطعامه ، عاد فذكر حرمة صيد البر للمحرم ، والذي عليه الإجماع هو حرمة صيد البر للمحرم . كما أن هناك خلافاً حول المعنى بالصيد . وهل هو خاص بالحيوانات التى تصاد عادة . أم النهى شامل لكل حيوان ، ولو لم يكن مما يصاد وما لا يُطلق عليه لفظ الصيد ، ويختص هذا التحليل وهذا التحريم باستجاشة مشاعر التقوى في الضمير ؛ والتذكير بالحشر إلى الله والحساب .

ويقول صاحب الظلال : « لقد جعل الله هذه الحرمات تشمل الإنسان والطير والحيوان والحشرات بالأمن في البيت الحرام وفي فترة الإحرام بالنسبة للمحرم ، حتى وهو لم يبلغ الحرم ، كما جعل الأشهر الحرم الأربعة التى لا يجوز فيها القتل ولا القتال وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثم رجب ، ولقد ألقى الله في قلوب العرب - حتى في جاهليتهم حرمة هذه الأشهر ، فكانوا لا يروعون فيها نفساً ، ولا يطلبون فيها دماً ، ولا يتوقعون فيها ثأراً ، حتى كان الرجل

يلقى قاتل أبيه وابنه وأخيه فلا يؤذيه ، فكانت مجالاً آمناً للسياحة والضرب في الأرض وابتغاء الرزق ، جعلها الله كذلك ؛ لأنه أراد للكعبة- بيت الله الحرام- أن تكون مثابة أمن وسلام ، تقيم الناس وتقيهم الخوف والفرع .

كذلك جعل الأشهر الحرم لتكون منطقة أمن في الزمان كالكعبة منطقة أمن في المكان ، ثم مد رواق الأمن خارج منطقة الزمان والمكان ، فجعله حقاً للهدى وهو النعم الذي يطلق ليبلغ الكعبة في الحج والعمرة ، فلا يمسه أحد في الطريق بسوء - كما جعله لمن يتقلد من شجر الحرم ، معلناً احتماؤه بالبيت العتيق .

وينتهى الحديث عن الحلال والحرام في الحل والإحرام بالتحذير صراحة من العقاب مع الإطماع في المغفرة والرحمة ، ثم تختتم الفقرة بميزان يقيمه الله للقيم ، ليزن به المسلم ويحكم ، ميزان يرجع فيه الطبيب من الخبيث كى لا يخدع الخبيث المسلم بكثرته في أى وقت وفي أى حال .

بعد ذلك يتجه السياق إلى شىء من تربية الجماعة المسلمة وتوجيهها إلى الأدب الواجب مع رسول الله ﷺ وعدم سؤاله عما لم يخبرها به ، مما لو ظهر لساء السائل وأحرجه أو ترتب عليه تكاليف لا يطيقها ، أو ضيق عليه في أشياء وسع الله فيها أو تركها بلا تجديد رحمة بعباده .

وفي حديث مرسل رواه الترمذى والدارقطنى عن على رضي الله عنه : قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران ٩٧) قالوا : يا رسول الله أفى كل عام ؟ فسكت : فقالوا : أفى كل عام ؟ قال : « لا : لو قلت نعم ، لوجبت » فأنزل الله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ .

لذلك نهى الله الذين آمنوا أن يسألوا عن أشياء يسؤوهم الكشف عنها ؛ وأنذرهم بأنهم سيجابون عنها إذا سألوا في فترة الوحي في حياة رسول الله ﷺ وسترتب عليهم تكاليف عفا الله عنها فتركها ولم يفرضها . ثم ضرب لهم المثل بمن كانوا قبلهم - من أهل الكتاب - ممن كانوا يشدون على أنفسهم بالسؤال عن التكاليف والأحكام ، فلما كتبها الله عليهم كفروا بها ولم يؤدوها ، ولو سكتوا وأخذوا الأمور باليسر الذى شاءه الله لعباده ما شدد عليهم ، وما احتملوا تبعة التقصير والكفران .

وفي الصحيح : « إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها . وسكت عن أشياء رحمة بكم - غير نسيان - فلا تسألوا عنها » .

ثم ينتقل السياق ليتحدث عن عادات الجاهلية الباطلة ، ويقرر أن الله لم يشرع هذه الطقوس ، لم يشرع البحيرة ولا السائبة ولا الوصيلة ولا الحامى ، فمن ذا الذى شرعها إذن لهؤلاء الكفار ؟! والذين يتبعون ما شرعه غير الله هم كفار ، كفار يفترون على الكذب ، مرة يشرعون من عند أنفسهم ثم يقولون : شريعة الله ، ومرة يقولون : إننا نشرع لأنفسنا ، ولا ندخل شريعة الله في

أوضاعنا ، ونحن مع هذا لا نعصى الله ، وكله كذب على الله : ﴿ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

يقول صاحب الظلال : « إن هذا الدين جد . وقد جاء ليحكم الحياة ، جاء ليعبد الناس الله وحده ، ويتنزع من المغتصبين لسلطان الله هذا السلطان ، فيروا الأمر كله إلى شريعة الله ، لا إلى شرع أحد سواه ، وجاءت هذه الشريعة لتحكم الحياة كلها ؛ ولتواجه بأحكام الله حاجات الحياة الواقعية وقضاياها ، ولتدل بحكم الله في الواقعة حين تقع بقدر حجمها وشكلها وملابساتها .

ولم يجيء هذا الدين ليكون مجرد شارة أو شعار ؛ ولا لتكون شريعته موضوع دراسة نظرية لا علاقة لها بواقع الحياة ولا لتعيش مع الفروض التي لم تقع ، وتضع هذه الفروض الطائفة أحكاماً فقهية في الهواء !

هذا هو جد الإسلام . وهذا هو منهج الإسلام . فمن شاء من « علماء » هذا الدين أن يتبع منهجه بهذا الجهد فليطلب تحكيم شريعة الله في واقع الحياة ، أو على الأقل فليسكت عن الفتوى والقذف بالأحكام في الهواء ! » .

قال السيوطي في الإكليل : « قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ نَجْدَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾ الآية ، فيه تحريم هذه الأمور واستنبط منه تحريم جميع تعطيل النافع ، ومن صور المسائبة إرساله الطائر ونحوه ، واستدل ابن الماخشون بالآية على منع أن يقول لعبده أنت السائبة وقال : لا ، يعتق » .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - في الحرم منافع كثيرة للناس في الدين والدنيا ، ويحل للمحرمين بالحج والعمرة صيد البحر ، ويحرم عليهم صيد البر .

٢ - الله - تعالى - علمه محيط بكل شيء ، ويجب على المؤمن ألا يئأس من رحمة الله ، وأن يخاف عقابه .

٣ - التحذير من كثرة السؤال عما لا ينفع في الدين ، وكرهية الإلحاف في السؤال ، والتقعر في الأسئلة ، والتنطع فيها .

- وهذه الأشياء المنهى عن السؤال عنها ، صنفها العلماء أصنافاً ثلاثة هي :

* أشياء من أمور الدين ودقائق التكاليف .

* الأمور الغيبية والأسرار الخفية المتعلقة بالأعراض .

* الأشياء التي يكون السؤال عنها سبباً في المساءلة ، إما بشدة التكاليف وكثرتها ، وإما بظهور حقائق تفضح أهلها .

٤ - حق التشريع والتحليل والتحريم لله وحده لا يشاركه في ذلك أحد .

معاني الكلمات :

حسبنا : كافينا . عليكم أنفسكم : الزموها واحفظوها من المعاصي . ضربتم في الأرض : سافرتم فيها . لا نشترى به ثمناً : لا نأخذ بحلفنا الكاذب متاعاً . الأوليان : الأقربان إلى الميت الوارثان له . ما اعتدينا : ما تجاوزنا الحد . الفاسقين : الخارجين عن طاعة الله .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - بيان وجوب إصلاح المؤمن نفسه وتطهيرها من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح .

٢ - بيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .



٣ - بيان وجوب الوصية والإشهاد عليها .

المحتوى التربوي :

تقرر هذه الآيات إن ما شرعه الله بين . وهو محدد فيما أنزل الله ومبين بما سنه رسوله وهذا هو المحك ، وهذه هي النقطة التي يفترق فيها طريق الجاهلية وطريق الإسلام ، فإما أن يدعى الناس إلى ما أنزل الله بنصه وإلى الرسول ببيانه فيلبوا ، فهم إذن مسلمون وإما أن يدعوا إلى الله والرسول فيأبوا ، فهم إذن كفار ، ولا خيار .

وتنمضي الآيات بعد تقرير حال الذين كفروا ؛ إلى الذين آمنوا ويقرر حالهم بانفصالهم وتمييزهم ، ويبين لهم تكاليفهم وواجبهم ؛ ويحدد لهم موقفهم ممن سواهم ؛ ويكلهم إلى حساب الله وجزائه لا إلى أى مغنم في هذه الأرض أو مأرب ، ويقرر مبادئ أساسية في طبيعة الأمة المسلمة ، وفي طبيعة علاقاتها بالأمم الأخرى .

يقول صاحب الظلال : « إن الأمة المسلمة هي حزب الله ، ومن عداها من الأمم فهم حزب الشيطان . ومن ثم لا يقوم بينها وبين الأمم الأخرى ولاء ولا تضامن ، لأنه لا اشتراك في عقيدة ؛ ومن ثم لا اشتراك في هدف أو وسيلة ؛ ولا اشتراك في تبعة أو جزاء . وعلى الأمة المسلمة أن

تتضمن فيما بينها ؛ وأن تتناصح وتتواصى ، وأن تهتدى بهدى الله الذى جعل منها أمة مستقلة منفصلة عن الأمم غيرها . ثم لا يضيرها بعد ذلك شيئاً أن يضل الناس حولها ما دامت هى قائمة على الهدى .

ولكن ليس معنى هذا أن تتخلى الأمة المسلمة عن تكاليفها فى دعوة الناس كلهم إلى الهدى . والهدى هو دينها هى وشريعتها ونظامها . فإذا هى أقامت نظامها فى الأرض بقى عليها أن تدعو الناس كافة . وأن تحاول هدايتهم ، وبقي عليها أن تبشر القوامة على الناس كافة لتقيم العدل بينهم ؛ ولتحول بينهم وبين الضلال والجاهلية التى منها أخرجتهم .

إن كون الأمة المسلمة مسؤولة عن نفسها أمام الله لا يضيرها من ضل إذا اهتدت ، لا يعنى أنها غير محاسبة على التقصير فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيما بينها أولاً ؛ ثم فى الأرض جميعاً . وأول المعروف الإسلام لله ، وتحكيم شريعته ؛ وأول المنكر الجاهلية والاعتداء على سلطان الله وشريعته . وحكم الجاهلية هو حكم الطاغوت والطاغوت هو كل سلكان غير سلطان الله وحكمه ، والأمة المسلمة قوامة على نفسها أولاً ؛ وعلى البشرية كلها أخيراً .

روى أصحاب السنن أبا بكر رضي الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية : ﴿ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإنكم تضعونها على غير موضعها وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر ، ولا يغيرونه ، يوشك الله عز وجل أن يعذبهم بعقابيه » .

وهكذا صحح الخليفة الأول رضي الله عنه ما ترامى إلى وهم بعض الناس فى زمانه من هذه الآية الكريمة . ونحن اليوم أحوج إلى هذا التصحيح ، لأن القيام بتكاليف التغيير للمنكر قد صارت أشق ، فما أيسر ما يلجأ الضعاف إلى تأويل هذه الآية على النحو الذى يعفيهم من تعب الجهاد ومشاقة ، ويرمجهم من عنت الجهاد وبلائه !

ثم تتحدث الآيات عن الحكم الأخير من الأحكام الشرعية التى تتضمنها السورة ، فى بيان بعض أحكام المعاملات فى المجتمع المسلم ، وهو الخاص بتشريع الإشهاد على الوصية فى حالة الضرب فى الأرض ، والبعد عن المجتمع . والضمانات التى تقيمها الشريعة ليصل الحق إلى أهله .

وبيان هذا الحكم الذى تضمنته الآيات الثلاث : أن على من يحس بدنو أجله ، ويريد أن يوصى لأهله بما يحضره من المال ، أن يستحضر شاهدين عدلين من المسلمين إن كان فى الحضر ، ويسلمها ما يريد أن يسلمه لأهله غير الحاضرين . فأما إذا كان ضارباً فى الأرض ولم يجد مسلمين يشهدهما ويسلمهما ما معه ، فيجوز أن يكون الشاهدان من غير المسلمين .

فإن ارتاب المسلمون - أو ارتاب أهل الميت - في صدق ما يبلغه الشاهدان وفي أمانتهما في أداء ما استحفظا عليه ، فإنهم يوقفونها بعد أدائهما للصلاة - حسب عقيدتهما - ليحلفا بالله ، أنها لا يتوخيان بالحلف مصلحة لهما ولا أحد آخر ، ولو كان ذا قرى ، ولا يكتمان شيئاً مما استحفظا عليه .. وإلا كانا من الآثمين .. وبذلك تنفذ شهادتهما .

فإذا ظهر بعد ذلك أنها ارتكبا إثم الشهادة الكاذبة واليمين الكاذبة والخيانة للأمانة ، قام أولى اثنين من أهل الميت بوراثته ، من الذين وقع عليهم هذا الإثم ، بالحلف بالله أن شهادتهما أحق من شهادة الشاهدين الأولين . وأنها لم يعتديا بتقريرهما هذه الحقيقة وبذلك تبطل شهادة الأولين ، وتنفذ الشهادة الثانية .

ثم يقول النص : إن هذه الإجراءات أضمن في أداء الشهادة بالحق أو الخوف من رد أيمان الشاهدين الأولين ، مما يحملهما على تحرى الحق . ﴿ ذَٰلِكَ أَذَقْنَا أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ .

وينتهى إلى دعوة الجميع إلى تقوى الله ، ومراقبته وخشيته ، والطاعة لأوامره ، لأن الله لا يهدى من يفسقون عن طريقه ، إلى خير ولا إلى هدى .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن المسلم مطالب بأن يلزم نفسه إصلاح نفسه وتزكيتها بما شرع الله له ، وهو مسؤول عن ذلك أمام الله ومحاسب عليه ، فإن ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ تعنى : الزموا إصلاح أنفسكم .

٢ - المسلم المهتدى الذى لا يضره الضالون من الناس ، هو المسلم الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويمجاهد في سبيل الله ؛ لأن ذلك من أصول الهداية . ولا يكون الإنسان مهدياً وهو لا يدعو إلى الخير ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر .

٣ - نتعلم من الآيات أن مرجع الناس جميعاً إلى الله يوم القيامة يوم الحساب والجزاء ، فليضع كل امرئ نفسه في المكان الذى يريد .

٤ - الحث على الوصية وتأكيدها ؛ لأن الموت قريب من كل أحد ، ولا يجوز التشاغل عنها بالسفر ونحوه أو السكوت عنها في السفر إذا لم يجد مسلمين يشهدان .

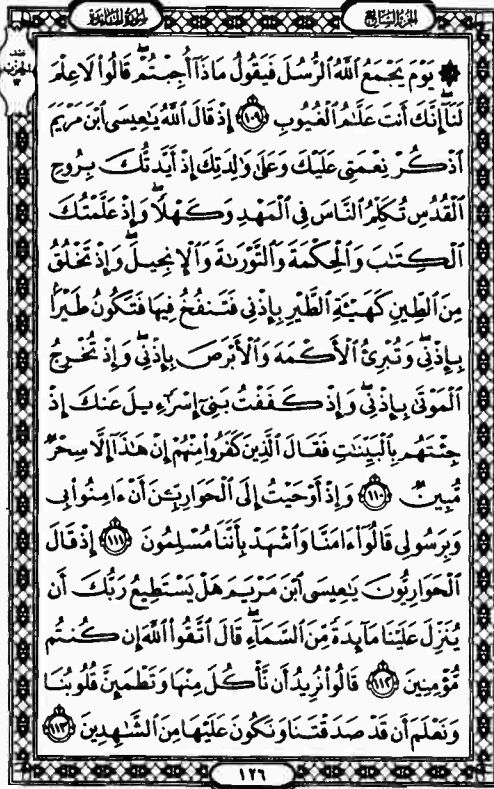
٥ - وجوب الإشهاد على الوصية .

٦ - يجوز شهادة غير المسلم على الوصية إذا تعذر وجود مسلم .

معاني الكلمات :

أيدتك : قويتك . بروح القدس : جبريل
 الطير : في المهدي : في زمن الرضاة قبل أوان
 الكلام . كهلا : حال اكتمال القوة .
 تخلق : تصور وتقدر . الأكمه : الأعمى
 بالخلقة . كفت : دفعت وصرفت .
 بالبينات : بالمعجزات الواضحات .
 الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - بيان شدة أهوال يوم القيامة
 وصعوبة الموقف في عرصات القيامة .
- ٢ - بيان إكرام الله تعالى لعيسى وما
 حباه من الفضل والنعمة .
- ٣ - ثبوت معجزات عيسى عليه السلام
 وتقريرها .



٤ - أن نستعد ليوم القيامة وهوله بتقوى الله عز وجل .

المحتوى التربوي :

في هذه الآيات يواصل السياق تصحيح العقيدة ؛ وتقويم ما دخل عليها عند النصارى من انحرافات أخرجتها من أصلها السماوي عند قاعدتها الأساسية ، وتصور الآيات مشهداً من مشاهد يوم القيامة : يوم يجمع الله الرسل الذي فرقهم في الزمان فتتابعوا على مداره ؛ وفرقهم في المكان فذهب كل إلى قريته ؛ وفرقهم في الأجناس فمضى كل إلى قومه ، يدعون كلهم بدعوة واحدة على اختلاف الزمان والمكان والأقوام ، حتى جاء خاتمهم ﷺ بالدعوة الواحدة لكل زمان ومكان وللناس كافة من جميع الأجناس والألوان .

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ : فلقد دعوا أقوامهم إلى الهدى ؛ فاستجاب منهم من استجاب ، وتولى منهم من تولى ، وما يعلم الرسول حقيقة من استجاب إن كان يعرف حقيقة من تولى ؛ لذا فهم - أي الرسل - يعلنون أن العلم الحق لله وحده ؛ وأن ما لديهم من علم لا ينبغي أن يدلوا به في حضرة صاحب العلم ، وتأدباً وحياء ، ومعرفة بقدرهم في حضرة الله .

ويلتفت الخطاب إلى عيسى ابن مريم وحده ؛ لأنه هو الذي فُتن قومه فيه ، وهو الذي خاض ناس في الأوهام والأساطير حول ذاته ، وحول صفاته ، وحول نشأته ومنتهاه ويلتفت إليه

ويذكر نعمة الله عليه وعلى والدته ؛ ويستعرض المعجزات التي آتاه الله إياه ليصدق الناس برسائله ، فكذبه من كذبه منهم أشد التكذيب وأقبحه ؛ وفتن به وبالآيات التي جاءت معه من فتن ؛ وألّهمه مع الله من أجل هذه الآيات ، وهى كلها من صنع الله الذى خلقه وأرسله وأيده بالمعجزات .

يقول الإمام محمد أبى زهرة فى زهرة التفاسير : « ذكر سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام فى ذلك اليوم المحشود ، وما كان التذكير إلا للمبطلين الذين افتروا عليه ، وهو سرّد لنعم الله - تعالى - على عيسى وأمه ، وأنه مخلوق من فضل الله ، وما أعطى من خواص بفضل من الله تعالى ، وهو مانحها ومعطيها ، وما دام هو المانح ، وهو المعطى ، فلا فضل لعيسى على أحد إلا بفضل من أعطى ، ولا يمكن أن يكون له ولدًا أو قرينًا » .

وقال القاسمى : « وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان .. لما أن شأنه عليه السلام متعلق بكل الفريقين من أهل الكتاب الذين نعت عليهم فى السورة » .

إنها المواجهة بما كان من نعم الله على عيسى ابن مريم وأمه ، من تأييده بروح القدس فى مهده ، وهو يكلم الناس فى غير موعد الكلام ؛ ليرى أمه من الشبهة التى أثارها ولادته على غير مثال ؛ ثم وهو يكلمهم فى الكهولة يدعوهم إلى الله ، وروح القدس جبريل عليه السلام يؤيده هنا وهناك ، ومن تعليمه الكتاب والحكمة ؛ وقد جاء إلى هذه الأرض لا يعلم شيئاً ، فعلمه الكتاب وعلمه كيف يُحسن تصريف الأمور ، كما علّمه التوراة التى جاء فوجدها فى بنى إسرائيل ، والإنجيل الذى آتاه إياه مصداقاً لما بين يديه من التوراة ، ثم من إبتائه خارق المعجزات التى لا يقدر عليها بشر إلا بإذن الله ، فإذا هو يصور من الطين كهية الطير بإذن الله ؛ فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله - لا ندرى كيف ؛ لأننا لا ندرى إلى اليوم كيف خلق الله الحياة ، وكيف ييث الحياة فى الأحياء - وإذا هو يبرئ المولود أعمى - بإذن الله - حيث لا يعرف الطب كيف يرد إليه البصر - ولكن الله الذى يهب البصر أصلاً قادر على أن يفتح عينه للنور - ويرى الأبرص بإذن الله ، لا بدواء - والدواء وسيلة لتحقيق إذن الله فى الشفاء ، وصاحب الإذن قادر على تغيير الوسيلة ، وعلى تحقيق الغاية بلا وسيلة وإذا هو يحيى الموتى بإذن الله - وواهب الحياة أول مرة ، مرة قادر على رجوعها حين يشاء .

ثم يذكره بنعمة الله عليه فى حمايته من بنى إسرائيل ، إذ جاءهم بهذه البيّنات كلها فكذبوه وزعموا أن معجزاته هذه الخارقة سحر مبین ! ذلك أنهم لم يستطيعوا إنكار وقوعها - وقد شهدتها الألوف - ولم يريدوا التسليم بدلالاتها عنادًا وكبرًا .. حمايته منهم فلم يقتلوه - كما أرادوا ولم يصلبوه ، بل توفاه الله ورفعاه إليه ، كذلك يذكره بنعمة الله عليه فى إلهام الحواريين أن يؤمنوا بالله وبرسوله ، فإذا هم ملبون مستسلمون يشهدونه على إيمانهم وإسلامهم أنفسهم كاملة لله :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

ويقول صاحب الظلال : « إنها النعم التي آتاها الله عيسى ابن مريم ، لتكون له شهادة وبينه ، فإذا كثرة من أتباعه تتخذ منها مادة للزيف ؛ وتصوغ منها وحولها الأضاليل - فهذا هو ذا عيسى يواجه بها على مشهد من الملأ الأعلى ، ومن الناس جميعاً ، ومنهم قومه الغالون فيه ، ها هو ذا يواجه بها ؛ لسمع قومه ويروا ؛ وليكون الخزي أوجع وأفضح على مشهد من العالمين !

ويستطرد السياق في معرض النعم والآيات الواضحات على عيسى ابن مريم وأمه - عليهما السلام - إلى شيء من نعمة الله على قومه ، ومن معجزاته التي أيده الله بها وشهداها وشهد بها الحواريون ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً ۝ الْآيَةُ .

يقول صاحب الظلال : « ويكشف لنا هذا الحوار عن طبيعة قوم عيسى المستخلصين منهم وهم الحواريون ، فإذا بينهم وبين أصحاب رسولنا ﷺ فرق بعيد ، إنهم الحواريون الذين ألهمهم الله الإيمان به وبرسوله عيسى ، فآمنوا وأشهدوا عيسى على إسلامهم ، ومع هذا فهم بعدما رأوا من معجزات عيسى ما رأوا ، يطلبون خارقة جديدة ، تطمئن بها نفوسهم ويعلمون منها أنه صدقهم ، ويشهدون بها لمن وراءهم » .

فأما أصحاب محمد ﷺ فلم يطلبوا منه خارقة واحدة بعد إسلامهم ، لقد آمنت قلوبهم واطمأنت منذ أن خالطتها بشاشة الإيمان ، ولقد صدقوا رسولهم ، فلم يعودوا يطلبون على صدقه بعد ذلك البرهان ، ولقد شهدوا له بلا معجزة إلا هذا القرآن .

هذا هو الفارق الكبير بين حوارى عيسى عليه السلام وحوارى محمد ﷺ ذلك مستوى وهذا مستوى ، وهؤلاء مقبولون عند الله وهؤلاء مقبولون . ولكن تبقى المستويات متباعدة كما أرادها الله .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - شدة هول يوم القيامة وصعوبة الموقف حتى إن الرسل ليذهلون ويُسألون عما فعلوا مع أقوامهم .

٢ - وجوب الاستعداد لذلك اليوم بتقوى الله تعالى .

٣ - التأدب مع الله - عز وجل - وتفويض العلم إليه .

٤ - على الدعاة أن يوقنوا أن الله تعالى سائلهم عما قدموا في مجال الدعوة والحركة لهذا الدين ومحاسبهم عليه ، وأن المخرج من هذا هو الجد والعمل المتواصل والإخلاص والتجرد ، والحرص على المدعوين والصبر عليهم ، فإن ذلك وحده هو المعفى من الحرج أمام الله تعالى .

٥ - القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وأن بعض الناس قد يصبح مؤمناً ويمسى كافراً فالحواريون قالوا : ﴿ ءَأَمَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ثم أصبحوا يقولون : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۝ ﴾ .

معانى الكلمات :

عيداً : سروراً وفرحاً أو يوماً نعظمه .
 سبحانك : تنزيهاً لك من أن أقول ذلك .
 شهيداً : رقيباً وحفيظاً . توفيتنى : أخذتنى
 إليك برفعى إلى السماء حياً . شهيد : مطلع
 عليه مراقب له . أبداً : من غير انقطاع .
 الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن تتأدب مع الله عز وجل في
 الطلب والسؤال والدعاء .
- ٢ - أن نصدق الله في أقوالنا وأفعالنا؛
 لأن الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى
 إلى الجنة .
- ٣ - أن نثق ونوقن في قدرة الله الكاملة
 والشاملة لكل ما فى الأرض والسماء .



وحده لا شريك له ولا رب سواه .

٤ - بيان براءة عيسى ابن مريم من دعاوى النصارى وافتراءات أهل الكتاب .

المحتوى التربوى :

تستكمل هذه الآيات قصة المائدة والتي لم ترد فى كتب النصارى ، كما وردت فى القرآن الكريم ، ولكن وردت بصورة أخرى ، لا يتسع المقام لذكرها ، كما فى نهاية الإصحاح الخامس عشر من إنجيل متى ، وبعض التابعين - رضوان الله عليهم - كمجاهد والحسن : يريان أن المائدة لم تنزل ؛ لأن الحواريين حينما سمعوا قول الله سبحانه : ﴿ إِنِّ مُنزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّ أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .. خافوا وكفوا عن طلب نزولها .

ولكن أكثر آراء السلف على أنها نزلت ؛ لأن الله تعالى قال : « إِنِّ مُنزِّلُهَا عَلَيْكُمْ » ووعد الله حق ، وما أورده القرآن الكريم عن المائدة هو الذى نعتمده فى أمرها دون سواه .

ثم تصور الآيات موقف عيسى ابن مريم عليه السلام فى مواجهة قومه يوم الحشر وعلى مشهد من العالمين ، وردده عليهم محذراً إياهم من طلب هذه الخارقة ؛ لأن المؤمنين لا يطلبون الخوارق ، ولا يقترفون على الله : ﴿ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ لكن الحواريين كرروا الطلب ، معلنين عن علته وأسبابه ، وما يرجون من ورائه ؛ فهم يريدون أن يأكلوا من هذا الطعام الفريد الذى لا

نظير له عند أهل الأرض ، وتطمئن قلوبهم برؤية هذه الخارقة وهى تتحقق أمام أعينهم ؛ ويستيقنوا أن عيسى عليه السلام قد صدقهم ، ثم يكونوا شهوداً لدى بقية قومهم على وقوع هذه المعجزة .

عندئذ اتجه عيسى عليه السلام إلى ربه يدعوهُ ؛ وفى دعاء عيسى ابن مريم - أدب العبد المجتنبى مع إلهه ومعرفته بربه ، فهو يناديه يا الله ، يا ربنا ، إننى أدعوك أن تنزل علينا مائدة من السماء ، تعمنا بالخير والفرحة كالعيد ، فتكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ؛ وأن هذا من رزقك فارزقنا وأنت خير الرازقين ، فهو إذن يعرف أنه عبد ، وأن الله ربه . وهذا الاعتراف يعرض على مشاهد من العالمين فى مواجهة قومه يوم المشهد العظيم !

واستجاب الله دعاء عبده الصالح عيسى ابن مريم ؛ ولكن بالجد اللائق بجلاله سبحانه ، لقد طلبوا خارقة واستجاب الله على أن يعذب من يكفر منهم بعد هذه الخارقة عذاباً شديداً بالغاً فى شدته لا يعذبه أحداً من العالمين فهذا هو الجد اللائق بجلال الله ؛ حتى لا يصبح طلب الخوارق تسلية وهواً . وحتى لا يمضى الذين يكفرون بعد البرهان المقحم دون جزاء رادع !

وقد مضت سنة الله من قبل بهلاك من يكذبون بالرسول بعد المعجزة . ويسكت السياق بعد وعد الله وتهديده ، ليمضى إلى القضية الأساسية ، قضية الألوهية والربوبية فيطرح الله استجواباً مباشراً فى هذه المرة فى مسألة الألوهية المدعاة لعيسى ابن مريم وأمه . استجواباً يوجه إلى عيسى عليه السلام فى مواجهة الذين عبدوه ؛ ليسمعوه وهو يتبرأ إلى ربه فى دهش وفزع من هذه الكبيرة التى افتروها عليه وهو منها برىء .

وإن الله - سبحانه - ليعلم ماذا قال عيسى للناس ، ولكنه الاستجواب الهائل الرهيب فى اليوم العظيم المرهوب : الاستجواب الذى يقصد ربه إلى غير المسؤول ؛ ولكن فى صورته هذه ، وفى الإجابة عليه ما يزيد من بشاعة موقف المؤلهين لهذا العبد الصالح الكريم .

ويقول صاحب الظلال : « إنها الكبيرة التى لا يطيق بشر عادى أن يقذف بها .. أن يدعى الألوهية وهو يعلم أنه عبد .. فكيف برسول من أولى العزم ؟ كيف بعيسى ابن مريم ؛ وقد أسلف الله له هذه النعم كلها بعد ما اصطفاه بالرسالة وقبل ما اصطفاه ؟ كيف به يواجه استجواباً عن ادعاء الألوهية ، وهو العبد الصالح المستقيم ؟

من أجل ذلك كان الجواب الواجب الراجف الخاشع المنيب ، يبدأ بالتسبيح والتتزيه ﴿ قَالَ سُبْحَنَكَ ﴾ ويسرع إلى التبرؤ المطلق من أن يكون شأنه هذا القول أصلاً ، ويستشهد بذات الله سبحانه على براءته ، مع التصاغر أمام الله وبيان خصائص عبوديته ، وخصائص ألوهية ربه عز وجل .

وعندئذ فقط . وبعد هذه التسبيحة الطويلة يجرؤ على الإثبات والتقرير فيما قاله وفيما لم يقله ، فيثبت أنه لم يقل لهم إلا أن يعلن عبوديته وعبوديتهم لله ، ويدعوهم إلى عبادته . ثم يخلى يده منهم

بعد أن رفعه الله إليه ، وينتهى إلى التفويض المطلق في أمرهم ، مع تقرير عبوديتهم لله وحده ، وتقرير قوة الله على المغفرة لهم أو عذابهم ، وحكمته فيما يقسم لهم من جزاء سواء كان هو المغفرة أو العذاب ، ويختتم الله عز وجل هذا الاستجواب الهائل على مشهد من العالمين بشهادة الصدق لعيسى عليه السلام فيما قال ، قال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ الآية . وفي نهاية الآيات ؛ وفي مواجهة هذه الفرية الكبرى التي لم يفتر أضخم منها قط أتباع رسول ! يعلن عز وجل تفرده بملك السموات والأرض وما فيهن ، وقدرته - سبحانه - على كل شيء بلا حدود .

يقول صاحب الظلال : « وختم السورة يتناسق مع السورة التي تحدث عن « الدين » وتعرضه مثلاً في اتباع شريعة الله وحده ، والتلقى منه وحده ، والحكم بما أنزله دون سواء ، إنه المالك الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن ، والمالك هو الذي يحكم ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ . إنها قضية واحدة ، قضية الألوهية ، قضية التوحيد ، وقضية الحكم بما أنزل الله ، لتتوحد الألوهية بتحقيق التوحيد » .

يقول الإمام محمد أبى زهرة فى زهرة التفاسير : « فى الكلام إشارات بيانية نذكرها :

الأولى : إثبات أن الله وحده هو الجدير بالألوهية ، والمستحق للعبادة ؛ لأنه ذو السلطان الكامل .

الثانية : إن تقديم لفظ الجلالة يفيد وحدة سلطانه وملكه وقدرته أى إنه وحده المالك لكل شيء .

الثالثة : إثبات أنه قادر على كل شيء لا يتقيد بالأسباب والمسببات ؛ لأنه على كل شيء قدير ، وهو خالق الأسباب .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - نتعلم من الآيات مخاطبة الله تبارك وتعالى ، وفضل الصدق الذى ينجى صاحبه من الهلاك والعذاب .

٢ - كل ما يصدر منا من قول أو عمل ، فإن الله سبحانه مطلع عليه ومحاسب ومجاز ، وهو سبحانه إن شاء عذب المقصر المخطئ ، فكان فى ذلك العدل ، وإن شاء تسامح وغفر ، وفى ذلك الفضل .

٣ - نتعلم كذلك من الآيات قدرة الله الشاملة ، وأنه سبحانه لا نظير ولا ند ولا شريك ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ولا إله غيره ، ولا رب سواه .

٤ - براءة عيسى عليه السلام من مشركى النصارى وافتراءات أهل الكتاب .